الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإمام

الأوزاعى

فقيه أهل الشام

تأليف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

لجنة
التعريف بالإسلام

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــــد ديـــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

التعريف بالإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة

الإمام

الأوزاعي

فقيه أهل الشام

تأليف
الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب التاسع والعشرون
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

عجزت الملوك أن تؤدب نفســـها

وأولادها أدب الاوزاعى فى نفسه

الوليد بن مزيد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله جليل الذات حسن الأسماء والصفات بقدر ما عمت آلاؤه وعظمت نعماؤه . والصلاة والسلام على من اصطفاه فوسعت أميته كل علم ، واجتباه فعلا يتمه على كل ذروة ، محمد المبعوث هدى ورحمة وسراجا منيرا .

ورضا الله ورحمته على أصحابه وتابعيهم وعلماء الأمة وهداتها الذين استجابوا لله فى قوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير » فكانوا أتباع حق وأعلام هدى ، أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فاستحقوا وعد الله لهم بأن يكونوا من المفلحين .

وبعد . فان لأبى عمرو الأوزاعى فقيه الشام وأحد أعلام الدنيا — فى زمانه وبعد زمانه — قصة تدفع الأمل فى قلب اليائس ، والقوة فى نفس الضعيف ، متى دفع اليائس عن نفسه يأسه وطرد الضعيف عن عينيه نومه ، فقد جعل الله — من سنته التى لا تتحول — أن يبلغ كل مخلص جهده ما يأمل ، وكل مصمم مريد أن يصل . بل ربما بلغ البادىء غاية الطريق اذا رزق التوفيق ، وقديما قالت عائشة الصديقة — رضى الله عنها — لكل خائف من الاقدام ولكل هيوب من الولوج : ارج أكثر مما لم ترج فان موسى راح يقتبس النار فرجع بالنبوة .

وقصة الامام الأوزاعى حين تلتئم عظامها من تمزق ، وتجتمع أشتاتها من تفرق تبعث فى الأفهام أمرين من دنيا ودين :

أما من الدنيا فان أمجاد رجالها لا تخفى أنداؤها مهما خفيت أجساد أصحابها بين الجنادل والصخور ، ومهما غابت أربابها فى غيابات القبور والدهور .

وأما من الدين فان الهام الله لجامعى المتفرق آن يجمعوه ، ومؤلفى الشتيت أن يؤلفوه لدليل على البعث الذى وعد الله به بنى آدم والجزاء الذى أعده لهم أنهما وعد حق وجزاء صدق .

والأوزاعى الذى لم يثبت التاريخ أصولا له تدرك منها صفاته ومواريثه ، منسوبة الى الآباء أو الأخوال ، بل كان كأنه فذ وواحد فرد ، فلم يعرف من أصوله الأدنين الا هو وأم له مجهولة الاسم والحال ، ولم يعرف من أصول قومه الا خليط من الأقوال لا تهتدى الى مستقر — قد تهيأ له بجهده وارادته ومصابرته مع توفيق الله وعنايته به — أن يكون فريد عصره وواحد دهره ، وصار له أن يضىء مباعد البلاد ومظلمات الآراء ، كالنجم لا يصعب عليه بعد ، أو الشمس لا تخفى عليها ظلال .

اكتسب الأوزاعى بما وهب من فطنة وذكاء قدرة على التعلم والاستفادة بما يتعلم الى أقصى حد يمكنه تحقيقه ، وكانت المهارة التى رزقها قادرة فيه على مواجهة الحياة والاتعاظ بالنفس والغير بمزاولة التجارب أو قبل استخبارها . واستطاع الأوزاعى بهذه المهارة أن يغير من سلوكه لكى ينسجم مع البيئة التى أراد أن ينتقل اليها من غير أن يقتضى ذلك نزاعا نفسيا لتغيير العادة والاتجاه ، من حيث ظل متصلا بماضيه . فبينما انتقل — منذ كان شابا — الى حالة من التصون والتعفف ظل متصلا بأصحابه القدامى وتلاميذه وعامة الناس ، يأخذ منهم ويعلمهم ويبتغى أن يكون بينهم قدوة ومثلا .

ولقد كثرت الأقوال فى مكان الذروة الذى صعد فيه الأوزاعى بقدره وعلمه وخلقه ونفعه ، حتى كأنه انفرد وحده فى زمانه بالتقدير من بين العلماء والفقهاء — والدنيا عامرة بأعلامهم حين ذاك — كما انفرد بالعزلة والبعد فنأى عن خضم العباد ومأهول البلاد .

وقد بكرت العزلة بمعناها الروحى على نفس الأوزاعى فنأى بها عن كل لغو ولهو ، وأقبل على الجد اقبال شجاع جسور ، ثم قيد نفسه للعبادة والعلم تأذينا وامامة وتعليما ووعظا وخطابة وكتابة ، وصار له من الجند والأتباع والطلبة والأشياع ما لو أراد من الدنيا مالا أو جاها لجاءوه به مسخرا ذلولا .

ولم يكن من العجيب أن يتناءى الأوزاعى عن الناس فى أخريات أيامه فيتلاءم ظاهره مع باطنه ، حتى لكأنه يريد أن يجهل وينسى . وقد ظفر بما أراد فقضى قبره نائيا منقطعا دهورا طويلة ، ولكن معالمه لم تجهل ونفحاته لم تكتم ، فآن له فى أيامنا أن يتنبه له الناس حين زحف العمران فى بيروت الى المحلة التى اختارها والمنأى الذى استقر فيه . ثم وسعوا مسجده الذى كان ضيقا صغيرا وأحدثوا فيه عمارة جديدة ، تشكر للذين أسهموا فيها أياديهم وتحمد لهم قلوبهم ومراميهم .

ولم يزل الأوزاعى فى حاجة الى الباحثين والمقدرين حتى يردوا له ما تفرق منه ويجمعوا عليه ما تشتت عنه ، فان الذى يقولون عنه انه أفتى فى سبعين ألف مسألة أو ثمانين لجدير بأن تتجند له الألوية وتحتشد له الرايات ، فتغزو مجاهل أخباره وتخرج حفائر آثاره .

ولن يستغنى الفضل عن فضل الأوزاعى مهما خيل اليه أنه استغنى ، لأن الأوزاعى كان أحد الصناديد الذين وقفوا على الشاطىء مرابطين يصدون عن أرض المسلمين قوى المغيرين من البحر ، ورابضين وراء الجبل يذودون عن دينهم ويقينهم حيرة المترددين وحيل المفسدين .

***

ولقد كنت اعتزمت اثر فراغى من كتابى « الخليفة الزاهد عمر بن

عبد العزيز » أن أبدأ العمـــل فى كتاب عن أبى عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، وكانت الدواعى حين ذاك كثيرة والأمور باعثة :

فقد كنت أسكن بيروت ، ومع أن اسم الأوزاعى كان ذائعا ملهوجا به للمحلة والمسجد المعروفين باسمه فلم يكن يعرف عنه أكثر الناس الا قبره فى ذلك المسجد وتلك المحلة فى الجنوب من بيروت — غير قليل من أهل العلم والمعرفة — وربما كان قد بقى فى النفوس قدسية للأرض التى تحيط بقبره وتقرب من مسجده ، فكان بعض كبار المسلمين يتمنون أن يدفنوا بها ، ثم تتاح لقليل منهم أن تنفذ وصيته فيدفن هناك . فكأنها بقيع مدينتهم أو قرافة مصر الكبرى حول قبر الشافعى الامام . وقد دفن بجواره — وأنا أسكن بيروت — كبار من رجال السياسة والدين [1] . فأحببت أن أعرف عن الأوزاعى ما يجهل الناس .

وكان من الدواعى أن صدر عن الأوزاعى كتيب صغير أصدره المرحوم أنيس النصولى رئيس الدائرة التعليمية بجمعية المقاصد الاسلامية ، ومع أن هـــذا الكتيب لم يشف رغبة ولم يبل غير الرمق فقـــد حث الرغبة على أن تعرف الكثير عن رجل كبير .

ثم رغبت فى أن أستزيد علما عن صاحب هذا الاسم الذى يرد اسمه فى كثير من دراسات الحديث والفقه دون أن يظفر بالوقوف عنده كما يوقف عند غيره من أسماء الأئمة والفقهاء .

دفعتنى كل هذه الدوافع الظاهرة — وربما كان غيرها معهـــا — أن أندفع الى تقييد ما يعن لى من أخبار عن الأزاعى فيما أقرؤه حتى أعرف عنه مزيدا ، فلما تهيأ لى — بتوفيق الله ومعونته — جملة غزيرة منها مضيت فى الكتاب ، ولكن بعد عشر سنوات أو أكثر من نية المضى اليه والنذر له ، وفى غير المكان الذى تحركت النية فيه .

وكان قبر الأوزاعى حين قدمت الى بيـــروت فى ســـنة ١٩٤٧ م على ساحلها الجنوبى يجاوره مسجد صغير وبعض قبور قليلة متفرقة فى ضاحية

---

(١) منهم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، ومنهم مفتى لبنان الشيخ محمد توفيق خالد .

صغيرة ليس بها غير عشرات قليلة من الأنفس تسكن منازل ريفية متواضعة ، فلما فارقتها فى سنة ١٩٦٠ م — أى بعد أربعة عشر عاما — كانت محلة الأوزاعى — بسبب القدرة العلمية الجديدة على الاعمار وتكاثر السكان — قد صارت طرفا قريبا من مدينة بيروت التى امتدت مبانيها واتسعت فى سرعة مذهلة ، وجرت فى التخطيط والبناء على ساحل البحر الأبيض فى اتجاه الى مدينة صيدا .

وما من شك فى أنها ستصير قريبا — أو هى قد صارت — محلة للحياة الصاخبة تلحق محلة الأوزاعى بضوضاء المدن التى كان يفر منها فى حياته ، ثم فر منها بعد موته حيث لا تكدر عزلته ولا تفتنه ولا تلهيه ، وان كان ليس وراءه فى قبره بعد .

وقد أنشىء أمام مسجد الأوزاعى حمام بحرى ، بل حمامات ، يزدحم فيها الناس حيث يبتردون بماء البحر فى الصيف بأزياء الاستحمام فى عصرنا ، فهل ضاعت يا ترى — بما تغيرت أحوال الناس — روعة الانفراد الذى كان يعزل تلك المنطقة قبل أن تزدحم بالمبانى والسكان وحمامات الصيف ؟!

ثم علمت بعد أنهم شيدوا مسجده تشييدا جديدا ، وعادوا الى تقدير مكانه وصون قدره . ولم يكن للمسلمين بد من ذلك ، فقد كان الأوزاعى فى أحد الأيام عالم الأمة الاسلامية كلها . وفى ذلك يقول اسماعيل بن عياش المحدث الثقة : سمعت الناس — أى الفقهاء والعلماء — سنة أربعين ومائة يقولون : الأوزاعى اليوم عالم الأمة .

وما من ريب فى صدق ما قاله اسماعيل بن عياش للباحث المدقق ، فقد بلغ الأوزاعى من المقام العلمى والاجتماعى والروحى ما جعل أصحاب الكتب الستة الصحاح يروون عنه ، وما جعل بعض المنصفين يرونه مستحقا للخلافة لو كان للفقهاء والعلماء فيها نصيب كما حدث لعمر بن عبد العزيز .

***

وليس فى الأوزاعى كتاب ذائع يذكر سوى كتاب نشره الأمير « شكيب أرسلان » اسمه « محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى »

عن نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين بقلم شيخ يدعى زين الدين بن تقى الدين — أى بخطه — وهو كتاب — مع الجهد الكبير الذى أنفقـه الأمير فى شرحه — ليس جامعا ولا مرتبا ، وانما هو روايات مكررة مخلوطة فى سيرة الأوزاعى .

وهناك كتابان آخران — فيما أتاح لى الاطلاع — ذكرهما ياقوت فى معجم الأدباء ، وهما للحافظ ابن عساكر صاحب « تاريخ مدينـة دمشق » أحدهما اسمه « كتاب ما وقع للأوزاعى من العوالى [1] » . ويفهم من الاسم أنه كتاب ربما كان فى الحديث الذى رواه الأوزاعى وللمسائل التى أفتى فيها وامتاز بها . وثانيهما كتاب « أخبار أبى عمرو الأوزاعى وفضائله » وكل منهما فى جزء واحد [2] .

والكتابان لم يزالا بعد مطويين غائبين لم ينشرا . وكان من حظى وحظ القراء لو اطلعنا على ثانى الكتابين ، ولعله — كما يغلب الظن — ينزوى الآن فى احدى مكتبات الشام .

ولكن بحسب الأوزاعى أن أول ما يلقاك وأنت تبحث عنه ، بل أعظم ما يلقاك منه أخباره وأسانيده فى كتب الحديث . ثم هو بعد ذلك فى معظم كتب السير والأخبار والتاريخ والفقه والزهد والتفسير ، لم يهمل كثير من أقواله ورسائله وخطبه ومواعظه ، فاذا نسيت فان أهل القبلة يؤدون كثيرا من شعائر فروضهم ونوافلهم وأحكامهم كما نص الأوزاعى وكما نقل وأفتى .

والأوزاعى أحد الأئمة العظام الذين أخذ بقولهم فى رواية الحديث مفردا مرسلا ، للثقة فيه واشتهاره بالجد الخالص والصدق الصارم والعمل بالعلم ، ولعل هذه الصفة الأخيرة من أكبر المناقب التى لم يشاركه فيها الا القليل ، فانهم يقولون : انه ما روى علما قط الا ورؤى وهو يعمل به .

---

(١) العوالى : كأنه جمع عالية كما فى المصباح .

(٢) معجم الادباء ج ١٣ ص ٧٩ .

ولقد علا شأن الأوزاعى فى دينه ودنياه علوا أدهش الناس مع انقطاعه عن النسب والجاه والمال — كما قالوا — :

أما الدنيا فقد جاءته فى ثياب العز والجاه لدى الخلفاء والولاة وعامة النـــاس : فكرمه بنو أميـــة وعلمـــاؤهم وأفراد الأمة فى أيامهم ، ثم كرمه العباسيون وخلفاؤهم وعلماؤهم والأمة فى أيامهم .

وقد انتصح به فى الأموية هشام بن عبد الملك وسمع له وتعلم منـــه وقضى بما قضى به . ثم اتعظ به فى العباسية عبد الله وصالح وعبد الصـــمد أولاد على بن عبد الله بن عباس وقواد أبى العباس السفاح ، ثم اتعظ به أبو جعفر المنصور . وهؤلاء جميعا أعطوه وأجزلوا له فى العطاء ، ولكنه رفض حينا وقبل حينا آخر ، وما قبله من أعطياتهم فرقه على مستحقيه قبل أن يبرح أماكن العطاء .

أما علو شأنه فى الدين فقد بلغ من العلم مبلغا رفيعا ، وانتشر مذهبه فى الشام وفى المغرب وأفريقية والأندلس وفى فارس وخراسان . ولن يضيره أن لم يدم مذهبه وحدة متماســكة الى اليوم ، فقد تفرق فى كتب الفقـــه والخلاف ، وأخذ به الفقهاء والأئمة وأصحاب الحديث .

ثم بلغ الأوزاعى — فى العمل بما علم والتأثر به — مرتبة المحزونين ، وهى التى قرر فى حديثه عنها أنها أرفع درجات العلم .

وهكذا علا شأنه فى حياته وبعد موته ، حتى لقد كانوا وكأنما يؤرخون به : قال أبو زرعة عبـــد الرحمن بن عمـــرو : قال لى أبو مســـهر : ولدلى والأوزاعى حى[1] — كأنما يؤرخون به — .

***

وقد تهيأ لكتابى هذا فيه أن يشمل أبوابا تصف الأوزاعى وزمنه ، ثم تفصل رحلته الى العلم وتذكر معلميه وتلاميذه ومطارح علمهم ودعوتهم ، ثم

---

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٧٢ .

تصف أدبه وعلمه ومذهبه وعبادته وزهده ، ثم ما أصابه أحيانا من شـــدة وكرب وأخذ وعفو . وذلك كله فى سبعة أبواب مفصلة الى أجزائها تفصيلا . والله من وراء القصد والسبيل .

عبد العزيز سيد الأهل

عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

القاهرة فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ

مايو سنة ١٩٦٥ م

زمن الاوزاعى

الأموية والعباسية . مولد الأوزاعى . نشأته وشبابه . سكنى بيروت . أهله وأسرته . وفاة الامام . تركته ومخلفاته .

الأموية والعباسية :

بين أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى وأيام أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى كانت أيام الأوزاعى.. هى نحو من سبعين عاما ، كانت عمره الطويل الذى عاشه فتخضرم فى الدولتين : الأموية والعباسية ، فشهد زوال دولة وقيام أخرى ، وعاصر كل الأسباب والأحداث التى غيرت الأفكار والأنظمة والرءوس .

وقد أصابت أمثاله من هذه الأحداث شؤون وشجون غير أنه نجا منها اذ اعتزل عالمه ذاك الى مكان قصى على سيف البحر الأبيض وفى منأى عن أمة كبيرة أو كانت أكبر أمة حين ذاك يطأ سلطانها أكباد الأرض فيما بين الأندلس والصين ، ومع ذلك فانه كاد لا ينجو من أذى وتخويف .

وأنفق الأوزاعى فى أيام الدولة الأموية شطر عمره الأطول وترك للعباسية بقيته ، قضى فى الأولى قرابة خمسين وقضى فى الثانية نصف الخمسين أو أقل قليلا ، وجمع فى الثلثين الأولين ما رفع شأنه ثم فعل فى الشطر الأخير ما زاد أوله رفعة وقدرا ، وهكذا انعطف أوله على آخره ، وآخره على أوله ، فبقيت أيامه كلها ذكرا حسنا وقدرا متطاولا وعزا مكينا .

وعند مولد الأوزاعى وأخذه فى النمو وأوائل الصبا كانت الدولة الأموية قد بلغت غاية مجدها فى الفتوح واجتماع الأمر واخماد أنفاس المناوئين ، بما أرسلت من قواد وجند ، وبما فعلت من تدبير وقسوة ومانصبت من ولاة جور وعدل ، وأحيانا بما قدمت بين يديها من حجة وبلاغة ، ولكنها لم تلبث بعد مدة [1] عمر بن عبد العزيز أن أخذت تسير تحت ظلة الزوال ، اذ

---

(1) كلمة المدة علم على أيام عمر بن عبد العزيز فى الخلافة وكانت كأيام أبى بكر — رضى الله عنهما — عددا .

تفتحت العيون من حولها على أضواء لم تعد أبصار بنى أمية تتفتح لها وتمتد اليها ، واشتعلت فى هـذه الأضواء نيران الدعوتين : العباسـية والعلوية . العباسية فى أطراف البلدان والعلوية فى المدينة وكان للأولى الكفة الراجحة والخطا الواسعة . ورويدا رويدا أخذت شمس بنى أمية فى الأفول .

وكان الأوزاعى قد بلغ أشده واستوى وعلا صوته وصيته مع كل ماعلا من أصوات العلماء والفقهاء والمحدثين ومن تصدروا للفتوى ، ولكنه ظل بعيدا بمنأى عن وظائف القضاء التى أبى أن يقبلها ، ورضى بأن يكون — مع اتساع علمه وعلو قدره — أحد الجند المرابطين [1] على ساحل البحر ليدفع الغزو من جهة البحر اذا اندفعت الى ساحله سفن الروم الأعداء .

ثم بلغته فى مأمنه — الذى كان يظن أنه سيجنبه الحوادث — طلائع الثورة العباسية فروعته وروعه قوادها وولاتها وخلفاؤها ، غير أنه كان قد ربط نفسـه مع أفراد من أمرائهم برباط من الود بسبب ما كان فى جدهم على بن عبد الله بن عباس من قول حسن وشهادة طيبة للأوزاعى فى زهد على وعبادته ، فكانت له يدا عند أبنائه [2] ، فتركوه وحفظوه ، ثم مدوا أيديهم اليه للانتفاع برأيه وقلمه وفقهه ووعظه ، وما زالوا معه كذلك حتى انطفأ سراجه فى أيام الخليفة المنصور .

ومع ما صـار لهم به من الصحبة والقبول فانه استمسك ولم يقبل أن يتولى لهم القضاء كما كان مع الأمويين ، وحتى فى الأيام التى أخافوه فيهـا وأرهبوه :

قال الأوزاعى — بعد أن أقدمه من الهرب الى جبل الجليل [3] عبد الله بن على العباسى قائد السفاح : قال لى عبد الله بن على : ألا نوليك القضـاء ؟ فقلت : ان أسـلافك لم يكونوا يشقون على فى ذلك — أى لا يكلفوننى

---

(١) المرابط هو المقيم على الثغوز الضعيفة للمسلمين ويحتسب فى الجند وعطائه وقد يكون فى المطوعين .

(٢) شهد الأوزاعى أن جد العباسيين على بن عبد الله بن عباس كان يسجد لله كل يوم الف سجدة — دول الاسلام ج ١ ص ٦١ .

(٣) جبل الجليل منه جزء فى الأردن ولبنان ويقع الآن فى الأرض المحتلة .

به — وأنا أحب أن تتم ما ابتدءونى به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : ان من ورائى حرما يحتجن الى القيام عليهن فى سترهن — وقلوبهن مشغولة بسببى — .

قال الأوزاعى : وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدى ، فأمرنى بالانصراف فلما خرجت اذا رسول من ورائى واذا معه مائتا دينار فقال : يقول لك الأمير : استعن بهذه . قال الأوزاعى : فتصدقت بها . وانما أخذتها خوفا [1] .

مولد الأوزاعى :

فى قرية « بعلبك » التى لم تزل قائمة الى اليوم بآثارها الضخمة على رأس اقليم البقاع الشمالى فى لبنان ولد الأوزاعى ، فى بلدة غزيرة الميـاه طلقة الهواء كثيرة الزروع جيدة الألبان . ومعظم أهلها فى عصرنا الآن من الامامية أتباع جعفر بن محمد الامام .

بهذه القرية — التى ذكرت آثارها الكتب المقدسة ، واتسعت لها القصص والأساطير ، ومرت عليها طواحين الأقدار ، كما ذكر النووى [2] فذاع صيتها — ولد الأوزاعى فى سنة ثمان وثمانين من الهجرة أو سنة ثلاث وتسعين : قولان . ولكن القول الأول هو الأول والأشهر [3] . وقد أيد مولده ببعلبك أحد أصحابه : الوليد بن مزيد ، قال : ولد ببعلبك وربى يتيما فقيرا فى حجر أمه [4] .

ولم يكن بهذه القرية حين ولد بها الأوزاعى من هو أسطع اسما من عمر ابن عبد العزيز الا الخليفة ، فقد كان لعمر فى بعلبك اقطاعات ومزارع ونواب ، فهو أو ديوانه الخاص على أتم الصلة بأهلها ، ولعل اقطاعات عمر

---

(١) محاسن المساعى ص ٧٩ .
(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ١٣٧ .
(٣) الأشهر : يراه قوم أنه ما كثر قائله ويراه آخرون ما قوى دليله وان قل قائله .
(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٨ .

هناك كانت عزيزة عليه حتى انه لما تولى الخلافة بعد ونزل عن كل ما كان له ، أبقى فى يده مقاطعتى « بدا وحزين » [1] فلم تنقطع صلته بأهلها .

وحين ولد الأوزاعى كان عمر واليا على المدينة والحجاز من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك . وفى السنة التى ولد فيها ذاتهـا كان عمر فى ضجة ومحنة ثارت بينه وبين أهل المدينة ، لأن الوليد أمره أن يوسع مسجد رسول الله بها [2] ، ويدخل فيه حجرات الزوجات ، ففعل عمر ، مقدما — فى نظر كثير من أهل المدينة ولا سيما خبيب بن عبد الله بن الزبير — على أمر ذى بال [3] .

وكان الوليد قد شرع فى السنة ذاتها فى بناء المسجد الامع بدمشق [4] وأوقف على بناء الجامع كل ما فى بيت المال وكل ما يرد من الفتوح حتى تم له ما أراد .

أما المسلمون فى كل أرجاء بلادهم فكان يغمرهم شعوران : حماســة دافقة للانخراط فى سلك الغزاة لأن صوت الاسلام يعلو وأرضــه تتسع . وفرح شامل لأن قتيبة بن مسلم يكاد يعبر الى ما وراء نهر السند ، وموسى بن نصير يقرب من أن يدق أبواب الأندلس ، ومسلمة بن عبد الملك يغزو عمورية ويهزم الروم . قد فتح الله على الاسلام فتوحا عظيمة وعاد الجهاد شبيها بأيام عمر بن الخطاب [5] .

كانت الأنباء تصدح هكذا فى آذان المسلمين حين ولد الأوزاعى فى بعلبك ، ولكن لعله لم يكن بجانب أمه وهى تلده أحد من أقاربه الا قرابة الاسلام التى كانت تشدها أنباء النصر وتقويها . ثم جعلت أمه تتنقل به الى القرى المجاورة — من غير أن يكشف التاريخ أسباب هذا التنقل — . وقد

---

(١) بدا : بضم الباء . وحزين : بضم الحاء وكسر الزاى .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) الخليفة الزاهد ص ٤٧ .

(٤) فرق اهل اللغة بين المسجد والجامع والمسجد الجامع فالمسجد عندهم للصلاة والجامع للدرس والمسجد الجامع لما يجمعهما .

(٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٦ ، ٢٢٧ .

قيل انها نقلته من بعلبك الى قرية بالبقاع يقال لها « الكرك » [1] ثم نقلته الى بيروت . وقيل انها جعلت تتنقل به الى أكثر من قرية ، وما زالت به حتى استقرت أخيرا فى بيروت [2] .

وقد قيل — فيما بعد — ان الأوزاعى لقب « أبا عمرو » جريا على عادة التلقيب فى الصغر لئلا يلحق به لقب آخر . وكان اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد — بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم — كما ذكر ذلك النووى فى « تهذيب الأسماء » .

أما تلقيبه بالأوزاعى ففى ذلك أقوال :

الأول والأشهر أنه منسوب الى « الأوزاع » التى هى بطن من ذى الكلاع الحميرى من قحطان من اليمن ، وهذه الأوزاع سكنت دمشق[3] . وقد قيل ان الأوزاع بطن من همدان ، واسم همدان مرثد بن زيد الحميرى ، وهمدان لقب له . وقيل ان همدان من القحطانية وقد ذكرهم الجوهرى وقال: واليهم ينسب الأوزاعى [4] .

وقيل ان الأوزاع قرية بدمشق خارج باب الفراديس من قرى الشام ولم يكن بناؤها متصل العمران بالمدينة ، وفى أخبار بلال بن سعد بن تميم السكونى من الطبقة الرابعة من أهل الشام أنه كان بالشام مثل الحسن البصرى فى العراق ، وكان امام جامع دمشق ، فكان اذا كبر سمع صوته من الأوزاع ، ولم يكن البنيان يومئذ متصلا . هكذا نقل أبو المظفر فى تاريخ « مرآة الزمان » [5] .

وسميت الأوزاع فى أيام ابن عساكر بالعقيبة الكبرى واتصل بها البنيان فجهلت . ولم يكن أبو عمرو منهم وانما نزل فيهم فنسب اليهم . وقيل سميت

---

(١) الكرك : قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر يزعم أهل تلك النواحى انه قبر نوح — معجم البلدان فى كرك .
(٢) محاسن المساعى ص ٤١ .
(٣) انظر محلتها بالخرائط الملحقة بتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر — القسم الأول من المجلدة الثانية .
(٤) نهاية الأرب للقلقشندى ص ١٦٩ .
(٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٨ .

هذه القرية باسم القبيلة التى سكنتها والأوزاعى من أنفسهم [1] . وكذلك قال البخارى فى تاريخه [2] .

وهناك خبر آخر ذكره الذهبى فى أخبار الأوزاعى بتذكرة الحفاظ ، وهو أن الأوزاعى من سبى الهند ، وقال المسعودى فى « مروج الذهب » انه كان من سبى اليمن [3] . ولعل سائق خبر السبى يريد أم الأوزاعى غير أنه لم يسق معه دليلا عليه ، ولم يكن من العسير على أهل الأخبار حين ذلك أن يثبتوه لو كان صحيحا . أما المتواتر فانه من قبيلة الأوزاع . ولعل مورد خبر السبى أراد أن يربط بينه وبين معنى « أوزاع النـــاس » — أى الأخلاط المتفرقة منهم — فجعله كذلك ونسبه الى السبى .

ومهما يكن من أمر نسب الأوزاعى فانه لا قيمة لنسبه الموروث حتى لو كان ينتمى الى أشرف من قبيلته بازاء ما اجتنى من النسب المكسوب . ولم يكن الأوزاعى نفسه مهتما بالأصل والنسب وانما كان جل اهتمامه بالكسب والعمل ، وكان ممـــا حدث به عن غيره قوله : من تبرأ من نسبه لدقته فهو كفر ومن ادعاه فهو كفر [4] . ولقد صـــدق الأوزاعى فى ذلك فان المتبرىء والمدعى انما ينكران بالتبرؤ والادعاء ارادة الله التى أراد ، وخلقـــه الذى شـــاء . على أن شرف النسب لا يغنى اذا لم يقترن بعمل شريف ، وقد أنذر رسول الله أدنى أقربائه بأنه لن يغنى عنهم من الله شيئا .

وقد جاءوا فى اسم الأوزاعى بخبر آخر قاله أبو زرعة الدمشقى ، قال : كان اسم الأوزاعى عبد العزيز فسمى نفسه عبد الرحمن . ويعلق صـــاحب كتاب « محاسن المساعى » على هذاالخبر فيقول : ولئن صح هذا فيكون قد اختار أن يضيف نفسه الى اسم الله تعالى « الرحمن » فان الأسماء وتطابق معانيها مستحب ، فرأى نفسه محتاجا الى الرحمة ولم يرها أهلا للعز تواضعا

---

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص ٣١١ — آداب الشافعى ومناقبه ص ٦٠ — الطبقات ج٧ ص ٤٨٨ .
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٨ — معجم البلدان المجلد ١ ص ٢٨٠ .
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ .
(٤) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٩١ .

منه ، فلهذا رفعه الله تعالى وأعزه كما قال النبى — صلى الله عليه وسلم — «من تواضع لله رفعه الله تعالى » [1] .

وخبر أبى زرعة هذا فيه دليل لأدب أبى زرعة ، ودليل على صدق ماورد فى أخبار أخرى من افتتان الأوزاعى باسم « الرحمن » تفاؤلا به ورغبة فى عفوه ورعايته . والأوزاعى هو المتحدث عن يحيى بن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال « قال الله أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » [2] .

واذن فليس من بأس على رواية أبى زرعة فى تغيير الأوزاعى لاسمه ، غير أنه يدل على أن الأوزاعى لم يغيره الا بعد الدرس والفهم للأسماء الحسنى ومعانيها ، ولعله جاء متأخرا ، وسرعان ما غطى على اسمه القديم ولم يعد معروفا الا باسم عبد الرحمن .

ومع كل هذا الذى سقته حول تغيير اسمه فلم تزل فى نفسى شبهة مما نسب اليه فى تغييره من عبد العزيز الى عبد الرحمن ، اذ الأوزاعى أعلم بأن الأسماء الحسنى يفضى بعضها الى بعض ، وليس أقرب الى اسم الرحمن من اسم العزيز فكلاهما يدل على السيطرة والعلو ، وقد ورد اسم الرحمن فى القرآن فى معانى الهيمنة والايجاد والتسوية والاحسان والألوهية والوحدانية واضافة الرحمة لهذا الاسم يظهر ضعفها مع استعراض شواهد القرآن فيما يتصل من المعانى باسم الرحمن ، فأنا لذلك أرجح أن الأوزاعى لم يغير اسمه التماسا للرحمة ، وانما كان اسمه عبد الرحمن منذ أيام الولاد .

نشأته وشبابه :

ليس هنــاك بد من أن يكون الأوزاعى قد عاد الى أهله وقبيلته فى دمشق ليستعينها ويستكثر بها أو ليتلقى العلم من منابعه فى دمشق حيث كانت

---

(١) محاسن المساعى ص ٤٧ :

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٢٦ .

هى قصبة الاسلام حين ذلك . وقد اتخذها الأوزاعى مستقره الذى يعود اليه كلما ارتحل الى مكان للعلم أو الزيارة أو الحج .

وربما كانت أمه معه ، وقد قيل انها عاشت طويلا وأدركته حينما دخل فى العبادة والزهد والتبتل ، يؤيد ذلك ما روى من أنها كانت تتعهد حصيره الذى يبتل من بكائه فى الليل ، وتدخل عليه اذا استيقظ وتشفق عليه [1] . ولكن يبدو أن أمه لم تعش الى ذلك الحين .

وأكبر من لقيهم الأوزاعى من أئمة الشام فى شبابه مكحول الدمشقى تلميذ مالك بن أنس امام المدينة ، ومن هذا المنبع وهـذه الخطة فاض علم الأوزاعى واستوت طريقته أول ما فاض واستوى . ثم ارتحل الى اليمـامة والبصرة وبيت المقدس والحجاز بما لا نستطيع ترتيب زمنه أو توسيع تفاصيله — الا ظنا — فان المراجع لم تجد به الا متناثرا مختصرا . وسنعرض له فيما بعد .

وحين تولى عمر بن عبـد العزيز الخـلافة كان الأوزاعى قد بلغ سن الاحتلام ، وقد حدث بذلك « ضمرة بن ربيعة » أحد أصـحابه قال : ان الأوزاعى قال : كنت محتلما فى خلافة عمر بن عبد العزيز [2] .

ولم يذكر أحـد أن الأوزاعى قد اتصـل بعمر ، ولعل ذلك كان لسنه الصغيرة وانصرافه لتلقى العلم ، الا أنه تتبع عمر يعرف عنه ويتعلم منه ويروى له — وقد كان عمر من أفقه أهل زمانه وأعلمهم — وكان من حظ الأوزاعى فى عمر أنه روى له مباشرة عن « نعيم بن سلامة الغسانى » الذى كان على خاتم سليمان بن عبد الملك ، ثم على خاتم عمر بن عبد العزيز [3] .

وقد ظهر ولع الأوزاعى بعمر بما حدث عنـه وأكثر ، فقد حدث عنه — فيما أتيح لى أن أطلع عليه — فى قسم الأموال والرفق بالرعية وسياسة الولاة ونصـائحه لهم وعن خلافه مع أمراء بنى أمية ، وكثير من أخبـاره الأخرى [4] .

(١) محاسن المساعى ص ٩٧ .
(٢) محاسن المساعى ص ٤٨ .
(٣) معجم البلدان المجلد ١ ص ١٤٩ .
(٤) عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٩٧ ، ١١٤ .

وقد أعجب الأوزاعى بمـا فعل عمر للدين والدنيـا فروى عنه وأخبر بالأمرين . ومن أمثلة ما رواه للدين قوله : كتب عمر الى عمـاله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة فمن أضاعها فهو لما سواها من شرائع الاسلام أشد تضييعا . ومن أمثلة ما أخبر عنه من سياسة الأموال قوله : كتب عمر بن عبد العزيز الى خزان بيوت الأموال : اذا أتاكم الضعيف بالدينـار لا ينفق عنده فأبدلوه من بيت المال [1] .

ثم أخذت سن الأوزاعى تعلو مع تنقله فى البلدان وعودته الى دمشق كلما أخذ الزمان يجد بزوال بنى أمية ويأتى بالحوادث الجسام فى قلب دولتهم وفى أطراف ولاياتهم وبلادهم .

وقبل زوال بنى أمية بربع قرن كان الأوزاعى قد بلغ فى العلم والفقه مكانا عاليا فتعرض للفتيا بقية بقاء الدولة الأموية ، فلمـا جاء أبو العباس السفاح وتاليه أبو جعفر المنصور كان الأوزاعى قد صار من الفقهاء الأعلام[2].

وأعنى بالفقهاء الأعلام من انتهى اليهم علم القرن الأول الاسلامى وفقهه فاحتلوا من قلوب الناس أمكنة رحيبة فرحل اليهم الطلاب من الآفاق ألوفا كثيرة ملئوا المساجد ورحبات الدروس وبيوت الأئمة ، وذاعت أسماؤهم مع الضوء فى كل مكان ، أمثال الباقر وابنه جعفر وأبى حنيفة وابن جريج وابن أبى عروبة ومن فى طبقتهم كالليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وابن أبى الزناد .

ولم تحظ بلاد الشام من هؤلاء الفقهاء أيام العباسية الأولى بأعظم من فقيهين اثنين حلق اسـمهما وذاع فى الآفاق : أحدهمـا مكحول وثانيهما الأوزاعى .

سكنى بيروت :

وقد اختار الأوزاعى بيروت دار اقامة ، فوفد اليها من دمشق بعد أن نضج واكتهل ، ويقول صاحب « تذكرة الحفاظ » انه سكن بيروت فى آخر

(١) المصدر نفسه ص ٩٠ ، ١٠٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٢٥ .

عمره مرابطا ، وبهـا توفي . وهو وحده الذى قال ان ذلك كان فى آخر عمره ، والمرابطة يتطوع الناس لها حين يكونون قادرين . فلا بد أن يكون ذلك والأوزاعى شاب أو مكتهل .

ويؤيد خبر هذه المرابطة على الثغر ما قيل من خبرة الأوزاعى الواسعة فى العلم بفنون القتال ، وربما كانت فنون قتال المرابطين فى عصابات دون أن يكونوا فى فرق نظامية وانما يختفون وينقضون على العدو لاهلاكه اذا استمكنوا منه .

وقد قالوا ان المرابطة تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف فى المساجد من الصلاة لأن المرابط يقوم فى وجه العدو متأهبا مستعدا ، حتى اذا أحس من العدو بحركة أو غفلة فلا يفوته ولا يتعذر عليه ، كما أن المعتكف يكون فى موضع الصلاة مستعدا فاذا دخل الوقت وحضر الامام قام الى الصلاة .

وقد قال الحليمى : ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف ، على أن صرف الهمة الى انتظار الصلاة قد سمى رباطا . وقد جرت فى فضل الرباط أحاديث كثيرة ، ومن سنة المرابطة فى سـبيل الله أن يعد لها من السـلاح ما يحتاج اليه [1]

وكان الأوزاعى يروى فى أمور القتـال عن يحيى بن أبى كثير قـول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لا تمنوا لقاء العدو فعسى أن تبتلوا بهم ولكن قولوا اللهم اكفنـا وكف عنـا بأسهم ، واذا جاءوكم يعـزفون ويزحفون ويصيحون فعليكم الأرض جلوسا ثم قولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك فاذا غشوكم فثوروا فى وجوههم » [2] .

وكذلك كان حال المسلمين عند لقائهم العدو ، وقد ذكر الأوزاعى أن عتبة بن ربيعة قال لأصـحابه من المشركين يوم بدر : ألا ترونهم — يعنى أصحاب النبى — جثيا على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات [3]

---

(١) نهاية الارب ج ٩ ص ١٩٩ .
(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ١٠٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

وكانوا لا يكثرون الصياح ولو كان تكبيرا ، فان كثرة التكبير عند لقاء العدو من الفشل [1] .

ويرجح أن الأوزاعى قد اتخذ بيروت مسكنا قبل أن يسن ، وسكنها فى أواخر العصر الأموى ليكون فى الجند المرابطين بالساحل . ولم يكن لأحد من أهل العلم والفقه أن يعفى نفسه من التطوع فى القتال أو تعفيه الدولة منه ، بل كان ذلك التطوع من أول واجبات الفقهاء ، وقليل منهم من لم يكن محاربا شجاعا .

كما يبدو أنه اتخذ بيروت ليبتعد عن خضم الأحداث فى دمشق ، ولا سيما عندما لاحت له بوادر من انتصار الدولة العباسية فى الأطراف وتضاؤل أمر بنى أمية ، فذهب الى بيروت وفيه بعض الحزن على الأمويين والميل عن العباسيين ، وسيتضح ذلك فى لقائه لقواد العباسية وخليفتهم أبى جعفر حينما نعرض له بالكلام .

غير أنا نسبق التفصيل لنؤكد هنا أنه كان بالساحل فى خلافة أبى جعفر فقد حدثوا عنه أنه قال : بعث الى أبو جعفر أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته . ونؤكد أيضا تباطؤه عن الوفود على المنصور حتى بعث اليه فأتاه ، وكان مما قاله المنصور له : ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعى ؟ [2].

ويسوق صاحب المحاسن خبرا لطيفا لقصة سكنى الأوزاعى بيروت ، ويفيد الخبر أن الأوزاعى سكنها عفوا من غير قصد ، ولكنه صادف بها موعظة غضة — وهو الوعظ البليغ — لم يكن قد سمع بمثلها من قبل فألجأته الموعظة الى الاستقرار فى بيروت .

وتلك القصة أن الأوزاعى مر بمقبرة بيروت التى تسمى «الباشوراء» [3] — ولعلها أول مرة قدم فيها الى بيروت — فاذا امرأة سوداء فى القبور ،

---

(١) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٢) محاسن المساعى ص ١٢٣ .

(٣) الباشوراء : بالمد والقصر سميت كذلك لما قيل أن بها بعض شهداء الفتوح الاولى فى الاسلام ، فاتخذوا لها اسما من البشرى . وكانت الباشورا بعيدة عن المساكن ولكنها الآن فى وسط بيروت الحالية .

فقال الأوزاعى للمرأة : أين العمارة يا هنتـاه [1] ؟ فقالت المرأة : ان أردت العمارة فهى هذه — وأشارت الى القبور — وان كنت تريد الخراب فأمامك — وأشارت الى البلد — فقال الأوزاعى : فعزمت على الاقامة فيها [2] .

ويستفاد من هذه القصة أن الأوزاعى لم يكن قبل ذلك يعرف بيروت ولا يدرى الطريق الى مساكنها ، ثم انه عزم على الاقامة بهـا — والعزم يسبق الفعل — فلعله عاد الى دمشق ثم رجع بجميع أهله الى بيروت .

وقد قيل ان أمه نقلته حين أيفع الى بيروت [3] ولكن قصة اتعاظه بتلك المرأة فى الباشوراء تمنع من قبول هذا الرأى ، اذ لو كان يعرف بيروت من صغره لما كان هناك ما يدعوه الى أن يسأل المرأة عن مكان العمارة ، فدلته على العمار والخراب .

ولقد أثرت نشأة الأوزاعى فيه فلم يشـأ أن يسكن فى مجتمع المدينة وعند أسواقها وضوضائها ، فاتجه بأهله الى ضاحية صغيرة تقع من بيروت على شاطىء البحر فى جنوب المدينة الغربى ، ثم اختار مكانا دانيا من الساحل مستعينا بهذه العزلة على التفكير والعبادة مبتعدا عن لجة الأحداث .

وهذه الضاحية يقال لها « حنتوس » كان أهلها كلهم من المسـلمين فأقام بها ، وفى أرضها دفن ، ويشاهد مدفنه فيها الى اليوم [4] .

والشـائع أن معاوية بن أبى سـفيان كان قد اتخذ من بيروت مرفأ لأسطوله ، ثم ظلت مرفأ للأموية والعباسية . وكانت الأساطيل العربية تصنع من أخشاب الصنوبر التى تكثر فى أحراجها كثرة طاغية ، وظلت بيروت كذلك بعد أيام الأوزاعى . ثم ظلت بها أشجار من الصنوبر الى اليوم .

وقيل ان الأوزاعى — مع ما أجرى عليه من بيت المال — قد أقطعت له أرض هناك ثم أضيف اليها ما وهب له وأوقف على مسجده وقبره بعد

---

(1) هنت : لغة فى انت ، ويسكن وسطه ويحرك .
(2) محاسن المساعى ص ٨٢ .
(3) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١١ .
(4) فى بيروت الى اليوم أسرة « حنتس » ولعلها تنسب الى هذه القرية كما قال الأمير شكيب .

موته حتى صار ما يمتلكه وقفه من سيف البحر الى سفح جبل لبنان ، ولكن الدهور الطويلة أكلت هذا الوقف وبددت مواثيقه وضيعت سجلاته [1] ، فلم يبق معروفا له فى أيامنا غير قبر متواضع ومزار ضيق من ورائه مسجده الصغير الذى جدد ووسع ، وظلت مئذنته منارة عالية تطل على البحر ، وهذا هو أقل ما تركه الأوزاعى فى ظاهر الأرض من آثار ، أما أكثره فتضيق عنه الدنيا بما فيها من سعة وامتداد .

أهله وأسرته :

لم يعرف بالتفصيل شيء عن أهل الأوزاعى الذين اصطحبهم من دمشق الى بيروت . وقد تكون أمه أحد هؤلاء الأفراد — على القول الذى سبق أن أوردناه فى أنها عمرت طويلا — وكانت تتفقد حصيره وتشفق عليه من البكاء الذى صار اليه . ولكن الشخص الذى صحبه على التأكيد وكان له شأن معه انما هو زوجته .

والواضح أنه لم يتزوج غير واحدة ، وكأنه لم ينجب منها ، أو لعله أنجب منها فتاة واحدة أو فتيات ضاع ذكرهن فى غمرة التاريخ ، فلم يذكر عنهن شيئا سوى لمحة من حديث الأوزاعى مع عبد الله بن على العباسى القائد حين استشفع لديه بحرم يحتجن الى القيام عليهن وسترهن — وقد أشرت الى ذلك من قبل وسيأتى تفصيله فى آخر الكتاب .

أما زوجته تلك فهى أم أبى سعيد يحيى بن عبد الله المعروف « بالباب لتى » [2] . كان مولى لبنى أمية وأصله من الرى . وكان « الباب لتى » متزوجا بأم أبى شعيب عبد الله بن الحسن الحرانى الفقيه — وذلك كما أخبر الهيثم ابن خلف الرورى [3] — وقد تتلمذ « الباب لتى » على الأوزاعى ثم رحل الى حران وسكنها محدثا فيها عن الأوزاعى .

---

(١) هذه الاخبار شائعة على السنة بعض مسلمى بيروت .

(٢) الباب لتى : نسبة الى باب لت بضم اللام قرية من قرى الجزيرة بين حران والرقة — معجم البلدان المجلدة ١ ص ٣٠٩ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٣٥ .

ومن المحقق أن هذا الزواج انما دعا اليه انغماس الأوزاعى فى حلقات أهل العلم والدين . ومع أنه لم يعرف عن زوجة الأوزاعى غير ما قيل عنها فى حادث وفاته — الذى سنعرض له بعد أسطر قليلة — فانها لا بد أن تكون من خيرة نساء ذلك العصر المتدينات ، لمكان ابنها « الباب لتى ».ومكان زوجها الأوزاعى من الفقه والعلم .

وقد ظهر أثر تدينها من تحريها وتأثمها حينما طلبت الفتوى فى شأن ما حدث لزوجها وهى فى غفلة عنه فى حادث موته ، فأفتيت فيه وقدمت ما أشير عليها به من الفداء .

وفاة الامام :

قال صاحب التذكرة وغيره : انه مات سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة [1] ، بعدما عمر نحوا من سبعين عاما ، وكانت وفاته ليلة الأحد لليلتين بقيتا من صفر ، وقيل فى شهر ربيع الأول .

وقد دفن حيث كان مقيما فى قرية حنتوس على باب بيروت عند « بئر حسن » — أى من جهة البحر للسفن القادمة فى بحر الروم من الغرب — ودفن فى قبلة المسجد . وكانت أرض القرية كلها مظللة بأشجار الصنوبر . ولكنها اليوم قد عريت منها فليس بها صنوبرة واحدة . وقد مر وقت طويل على قبره بهذه القرية لم يكونوا يعرفونه ، بل يقولون ههنا رجل صالح ينزل عليه النور . ولا يعرفه الا الخواص من الناس [2] .

وقد رثاه بعضهم حين مات يقول :

جاد الحيا بالشام كل عشية قبرا تضمن لحده الأوزاعى
قبر تضمن فيه طود شريعة سقيا له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا عنها بزهد أيما اقلاع

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٣ — دول الاسلام ج ١ ص ٨١ .
(٢) محاسن المساعى ص ١٦١ .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق سبب موت الأوزاعى فقال : ان الأوزاعى دخل الحمام فى بيروت وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الحمام عليه وذهب فى جماعة ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة [1] .

وقيل ان امرأته « أم الباب لتى » فعلت ذلك ولم تكن عامدة له فقتلته خطأ فى الحمام ، فاستفتت فى ذلك فأفتاها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة فأعتقتها .

وكان الأوزاعى قد اختضب فى داره ودخل الحمام وأدخلت معه امرأته كانونا فيه نار وفحم — على عادة أهل البلد — وأغلقت عليه الحمام ، فلما هاج الفحم صغرت نفسه وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه فألقى نفسه ومات .

قال عقبة بن علقمة البيروتى أحد كتاب الأوزاعى : دخل الأوزاعى حماما فى بيته وأدخلت معه زوجته كانونا فيه فحم ليدفأ به ثم أغلقت عليه وتشاغلت عنه فهاج الفحم فمات . قال عقبة : فوجدناه متوسدا ذراعيه الى القبلة رحمه الله .

وقال أبو مسهر : أغلقت عليه غير متعمدة فمات ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة [2] .

وقد اتفق الرواة على حادث الوفاة ولكنهم اختلفوا فى مكانه . والراجح من أقوالهم أنه مات فى بيته لكثرة رواة هذا الخبر ، ولأن بعضهم من كتابه وتلاميذه الملتصقين به ، ولأن امرأته أعتقت رقبة جزاء ما أهملته واشتغلت عنه .

أما أنه مات فى حمام عام فيبدو أنها اشاعة صدقها بعض الرواة دون أن يبحثوا ويحققوا ، وهى عادة الناس فى مثل تلك الحوادث لا يرونها بريئة من التهمة ، وأسيرها ما وضعوا حوله الغرائب ، فقالوا انه مات فى الحمام لاغفال الحمامى أمره ، ثم نقل الى بيته بعد أن مات .

---

(١) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

وكانت وفاته فى خلافة أبى جعفر المنصور فى سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة المقابلة لسنة أربع وسبعين وسبعمائة من الميلاد ، أى فى القرنين الثانى الهجرى والثامن الميلادى — ولهذه المقابلة فى السنين أهمية سنشير اليها عند الكلام على علم الأوزاعى وأثره فى لبنان تحت عنوان « الرأى عنده » فى الباب السادس من هذا الكتاب .

وممن أرخ لهذه الوفاة هكذا محمد بن سعد فى الطبقات والذهبى فى دول الاسلام واليعقوبى فى تاريخه ، ولم يقل بغير هذا الا على بن المدينى الذى قال : وتوفى الأوزاعى سنة احدى وخمسين ومائة [1] .

***

ولعل موت الأوزاعى حين ذلك كان متوقعا لكبر سنه وضعفه كما يتوقع للشيوخ الذين كبروا وضعفوا من أمثاله ، ولعل الأوزاعى كان قد ساءت صحته فلم يكن يستطيع أن يرد عن نفسه أقل سوء .

وقد كان موته متوقعا فى الآفاق ، اذ روى على بن عبيد قال : كنت عند سفيان الثورى فقال رجل : رأيت البارحة كأن ريحانة رفعت الى السماء من قبل المغرب حتى توارت بالسماء ، فقال له سفيان : ان صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى . فوجدوه قد مات فى تلك الليلة [2] .

ومن المعروف أن الثورى وغيره يعتمدون فى الرؤيا على واقع الحال ، وهذه من قواعدهم فى التأويل . ثم انه أول طلوع الريحانة من المغرب بالأوزاعى . ولم يكن الأوزاعى بالمغرب ولكن مذهبه كان قد انتشر هناك ثم أخذ يزاحمه مذهب مالك ، فرأى الثورى أن المذهب سيرفع ، ثم رجع الثورى الى الحديث الذى يقول برفع العلم اذا قبض العلماء . وهى كما ترى أصول وأسانيد جعلوها فى التأويل .

---

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٢ .
(٢) تعطير الانام ج ١ ص ٢٣٩ .

على أن الثورى كان متصل النفس بزميله الأوزاعى ، وكانت بينهما مودة ومصافاة ، فلا يبعد أنه توقع موته كما تتوقع الحوادث نفوس الأصفياء .

تركته ومخلفاته :

ولم يخلف الأوزاعى وراءه ثروة ولا ميراثا الا أربعة دنانير أو ستة أو سبعة كانت قد فضلت من عطائه . وكان — كما قلنا من قبل — قد كتب فى ديوان الساحل [1] يأخذ من أعطيات بيت المال ، على أنه أحد المرابطين أو أحد العلماء الزهاد الذين انقطعوا للعلم والعبادة ، وكان هذا تقليدا فى الأموية ثم صار فى العباسية .

وقد قالوا ان يحيى بن خالد البرمكى — من بعد — أجرى على سفيان بن عيينة — رضى الله عنه — ألف درهم فى الشهر ، فكان اذا صلى سفيان يقول فى سجوده : اللهم ان يحيى كفانى أمر دنياى فاكفه أمر آخرته [2] .

وقد أنفق الأوزاعى كل ما أخذ تفريقا وهبات ، أنفقه على نفسه وعلى كتابه وأهله وذوى الحاجة ، فلما مات لم يكن قد ترك من ورائه شيئا سوى أربعة دنانير . وقالوا انه كان من أكرم الناس وأسخاهم .

وكان للأوزاعى فى بيت المال من الخلفاء اقطاع صار اليه من بنى أمية، وقالوا انه وصل اليه من خلفائهم وأمرائهم ومن بنى العباس نحو سبعين ألف دينار ، فلم يمسك منها شيئا ، ولم يقتن دارا ولا عقارا سوى سبعة دنانير أو أقل منها كانت جهاز دفنه .

وقد حدثنى ثقات من أهل بيروت أن المسلمين كانوا وقفوا على مسجد الأوزاعى ومزاره أميالا وفراسخ ممتدة من سيف البحر عند بئر حسن فى قرية حنتوس الى سفح الجبل ، ولكن هذه الأرض التى تبعد عن مد البصر

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) معجم الادباء ج ٢٠ ص ٩ .

قد استلبت من هــذا الوقف وامتلكها أوزاغ من النـــاس مسلمون وغير مسلمين ، ثم جاءت العصور الصليبية والمغولية والتركية والفرنسية التى مرت بلبنان فطمست المعالم وأضاعت الوثائق ، ولم يبق الآن سوى مدفنه ومسجده الموسع حديثا . وحتى الأرض التى حوله وعلى قرب منه — ولم يكن لهــا مالك — ابتاعها الناس من غير ملاكها أو استولوا عليها من غير سجلات . وعلم ذلك عند الله .

رحلته الى العلم

اختلاف الدواعى . طبقـة الأوزاعى . ابن محيريز . يحيى بن أبى كثير . الحسن وابن سيرين . علماء الشـام . مكحول الشـامى . القـاسم بن مخيمرة . أبو اسحق الفزارى . فقهـاء آخرون . علمـاء العراق والجزيرة . الحـكم بن عتيبة . ميمون بن مهران . العلماء فى الموسم . الامام الباقر . مالك بن أنس . عطاء بن أبى رباح . سـفيان الثورى . جماعة من الأعلام . جملة من الفقهـاء .

اختلاف الدواعى :

فى عهد الوليد بن عبد الملك كانت الدولة الأموية قد بسطت جناحيها على المشرق والمغرب وبلغت المملكة الاسلامية غاية اتساعها ، اذ كان المجد العسكرى قد بلغ قمته العليا : فقتيبة بن مسلم قد زحف بجنده الى ماوراء نهر السند وبلغ حدود الصين . ونواب المغرب وثبوا بأساطيلهم الى الجزر فى غربى البحر المتوسط فامتلكوها بين الأندلس وصقلية ، ثم وثب طارق بن زياد الى أرض الأندلس ذاتها . ومسلمة بن عبد الملك قائد العرب فى أرض الروم قد أوغل فى أرض الروم وعسكر على القسطنطينية . هكذا كان المجد العسكرى قد بلغ قمته فى عهد الوليد .

وتبعا لامتلاء بيت المال بالذهب والنفائس والأحجار الكريمة الواردة من غنائم الفتوح قامت الدولة بالبناء والتشييد ، وخصت المساجد الجامعة بعناية فائقة ولا سيما مسجدى المدينة ودمشق . وبلغ من أبهة الخلافة حينئذ أن قضى الوليد تسع سنين وهو يبنى مسجد دمشق ، وغرم عليه من الدنانير المصرية ما وزنه مائة قنطار وأربعة وأربعون بالدمشقى . وقيل :كان يعمل فيه اثنا عشر ألف مرخم من الذين يحسنون صنع الرخام ووضعه ، حتى صيره الوليد نزهة الدنيا [1] .

ويبدو أن هذه الفتوح الضخمة والاسراف فى التشييد وحاجات القصور وأجور الولاة — برغم ما ورد لبيت المال من الغنائم والأموال — قد أحوج الدولة الى نوع من الولاة القساة ، فركبت أكتاف الناس منهم فئة كان منها الحجاج بالعراق وأخوه محمد باليمن وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز [2] .

---

(١) دول الاسلام ج ١ ص ٤٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٥ .

ولكن الروح الدينى فى عمومه — برغم ما حدث من الخوارج وأهل القدر وغيرهم — كان ما يزال فى أوجه ، والاقبال على دراسة الدين قد شملت العرب والموالى ، فأصحاب النبى مازالت منهم بقايا متفرقة فى البلدان ولكنها بقايا قليلة تكاد تذوب وشيكا ، ومعظمهم ممن عمروا طويلا ، فهم كالنجوم التى تزحف عليها موجات الغروب ، أو الذبالات التى تداعبها هبات الانطفاء .

غير أنه نشأ على يد هؤلاء جمهور ضارب فى كل البلدان من التابعين ، أقلهم من العرب وأكثرهم من الموالى ، لانصراف العرب الى الولايات والحروب والرباط . واشتغل هؤلاء التابعون وتابعوهم بعلوم الدين ولاسيما الحديث ، فكانت فى كل بلد منهم حركة شبيهة بحركات الجند على الأطراف .

وفيما بين الاستشهاد والغنى من الفتوح ، وظلم الولاة فى البلدان ، والاسراف فى البناء والتشييد ، والاقبال على الدنيا ، وعلى دراسة الدين والحديث ، واختلاط العرب بالأمم الأخرى فى شتى بلدانها وأفكارها — ثارت موجة من الزهد البالغ حد التصوف بين المتدينين ، وفشت الموجة فكاد يكون فى كل بلد منهم امام ومستنبط للأحكام .

بيد أنه فى أثناء تغير مظاهر الحياة دخلت فى الدين بدع ومستحدثات احتاجت الى التروى والخوف ، حتى لقد بدا كثير من المظاهر وكأنه غريب. وقد روى عن أبى الدرداء — قبل ذلك — أنه قال : لو خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة . فقال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم ؟! وقال عيسى بن يونس بعد زمن الأوزاعى : فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمن ؟! ونحن بدورنا فى أيامنا — والفرق بيننا وبين أولئك الأئمة كبير — نقول : فكيف لو أدرك هذا الزمن عيسى بن يونس ؟!

ويؤيد هذا التغير الذى أخبر به أبو الدرداء ما قاله أنس بن مالك لأهل زمانه ، قال : ما أعرف منكم ما كنت أعهده على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غير قولكم لا اله الا الله . قلنا : بلى يا أبا حمزة . قال : قد

صليتم حتى تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟[1]

وهذا كان صار قديما ، أما فى زمن الأوزاعى فقد قال ميمون بن مهران : لو أن رجلا أنشر فيكم من السلف ما عرف غير هذه القبلة [2] .

ومع تغير الحال هكذا وشهادة هؤلاء به زمنا بعد زمن حتى زمن ميمون والأوزاعى فان الأوزاعى لم يفزعه هذا التغير اذ أعد له ثقته وايمانه وعدته ، متأثرا فى هذا الثبات بما كان يرويه عن الحسن البصرى اذ يقول : لن يزال لله نصحاء فى الأرض من عباده يعرضون أعمال العباد على كتاب الله ، فاذا وافقوه حمدوا الله ، واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى ، فأولئك خلفاء الله [3]

ولما كان حب العلم وجمعه والولوع بالمعرفة قد امتلك النفوس — والبلاد متباعدة والآفاق مترامية — فقد وجدت الكتابة مكانها الذى تدخل منه وتشيع ، فابتدأت السطور تحل مكان المحفوظ فى الصدور ، وأخذ الأئمة يحلون المكتوب فى مكان المحفوظ ويثبتونه وربما رجحوه . وكان الفخر قديما بالحفظ وحده . وقد افتخر الشعبى المحدث عامر بن شراحيل الكوفى باقتصاره على الحفظ دون الكتابة أو العلم بها قائلا : ما كتبت سوداء فى بيضاء [4]

قال الذهبى : وفى هذا العصر — شرع علماء الاسلام فى تدوين الحديث والفقه والتفسير ، وصنف ابن جريج التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصنف أبوحنيفة الفقه والرأى بالكوفة ، وصنف الأوزاعى بالشام ، وصنف مالك الموطأ بالمدينة ، وصنف ابن اسحق المغازى ، وصنف معمر باليمن ، وصنف سفيان

(١) السنة فى صلاة العصر قبل أن تصفر الشمس لئلا يضيق الوقت بالمصلى عن ذكر الله واقامة الصلاة — انظر الموطأ فى باب النهى عن الصلاة بعد العصر .

(١) الاعتصام ج ١ ص ١٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧ .

(٣) كنى عن السوداء بالحروف وعن البيضاء بالورق — دول الاسلام ج ١ ص ٥٤ .

الثورى كتاب الجامع . ثم بعد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم ابن المبارك والقاضى أبو يوسف يعقوب بن وهب . وكثر تبويب العلم وتدوينه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، ووضع الخليل علم العروض .

وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة ، فسهل — ولله الحمد — تناول العلم ، فأخذ الحفظ يتناقص . فلله الأمر كله [1] .

فى هذا العهد الذى اختلفت مظاهره وصفاته كما تبين ولد الأوزاعى ودرج ، وفى أقرب مكان لقصبة الخلافة التى يجتمع فيها خضم من أخبار الحوادث وحقائقها : فى بعلبك القريبة من دمشق قربا كبيرا ، وليس بينهما الا اختراق طرف من البادية بالابل والدواب حين ذلك .

طبقة الأوزاعى :

فى الأخبار المجملة عن الأوزاعى أن أمه جعلت تنتقل به فى القرى والبلاد حتى استقرت به أخيرا فى بيروت أو استقر هو وأهله فيها ، وقد تقدم فى هذا بعض التفصيل ، ومهما كانت أمه قد تنقلت به فى قرى البقاع ثم الى دمشق والى بيروت فانه لم يأت عنها خبر فى اصطحابه الى الرحلات البعيدة ، لا فى المجملات ولا فى التفاصيل .

ولم يسبق لأحد أن تتبع رحلة الأوزاعى فى طلب العلم كما يتعرض لها كتابى هذا ، فقد تتبعته وهو يعلو فى السن ويرتحل الى البلدان ليلقى رجالها وأعلامها كما تيسر لى بعد بذل الجهد الكبير .

وأسبق هذا الاحصاء الذى اجتهدت له فأذكر أن الأوزاعى صار فيما بعد هذه الرحلات أو قبل أن يتمها جميعا أحد أعلام الطبقة الخامسة من أهل العلم والحديث كما رتب الذهبى فى تذكرة الحفاظ .

---

(1) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٠ — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٥١ — محاسن المساعى ص ٣٠ .

وبتتبع من اختلط بهم من الأستاذين نجدهم من أهل الطبقتين : الثالثة والرابعة اللتين سبقتا طبقته . أما أعلام الطبقة الثانية فلم يكن مقدرا له أن يرتحل اليهم أو يأخذ عنهم قبل أن يودعوا الدنيا . ومن هذه الطبقة سعيد بن المسيب الذى مات بالمدينة وسن الأوزاعى ست سنوات ، فلم يقــدر له أن يلحق به أو بأحد من أهل طبقته من أمثاله .

بل لقد فاته جملة من رجال الطبقة الثالثة . والمحقق أنه لم يتصل بكثير منهم — مع قرب بعضهم من موطنه — لأنه لم يكن قد بلغ بعد فى العلم والشهرة منزلة تقرب منهم . ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة وصالح بن كيسان ومحمد بن كعب القرظى ، وان كان الأوزاعى قد روى عن أكثر هؤلاء .

ابن محيريز :

وأول ما التقينا مع سيرة الأوزاعى — بعد اتصاله بنمير بن أوس — التقينا بعبــد الله بن محيريز الجمحى عالم بيت المقــدس الذى قال عنــه الأوزاعى : كان اماما قدوة .

وابن محيريز كان أردنيا ، قال عنه رجاء بن حيوة الكندى الأردنى : ان يفخر علينا أهل المدينة بابن عمر فانا نفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز ، وبقاؤه أمان لأهل الأرض .

ورجاء بن حيوة الذى يقول هــذا القول كان من تلاميذ ابن محيريز وأحد جلسائه . وقد نبأ ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبى سلمة عن رجاء بن حيوة قال : أتانا نعى ابن عمر ونحن فى مجلس ابن محيريز فقال ابن محيريز: والله ان كنت لأعد بقــاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض [1] . فهذا القول الذى أسلفه ابن محيريز فى ابن عمر سنة ثلاث وسبعين ادخر له فقيل فيه حين مات سنة ثمان وتسعين [2] . فالكلمة الطيبة لا تضيع .

---

(1) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٢ .

(2) دول الاسلام ج ١ ص ٥٠ .

وابن محيريز هذا مات ولم تكن سن الأوزاعى قد جاوزت العاشرة . ومن المظنون أنه لقيه هناك فى أول رحلاته وهو يطلب العلم ، وكانت هـذه الرحلة لبيت المقدس الذى كرر الأوزاعى رحلاته اليه فيما بعد .

ووصف الأوزاعى لابن محيريز بأنه امام قدوة يحمل على رؤيته له وثقته به أو التيقن من حاله وسيرته ان لم يكن قد ارتحل اليه . كما يفيد الخبر صفة من صفات الأوزاعى ، وهى التشمير وطرح الكسل منـذ كان صغيرا .

ولم يتعرض الأوزاعى لابن محيريز الا من ناحيته الدينية ، أماالسياسية فلا ، فقد كان ابن محيريز أحد الناقمين على عبد الملك بن مروان ، لأنهأوقف جيوشه عن الثغور وساقها الى الحرم ثم الى مصعب بن الزبير . وقد صرح بنقمته هذه عليه وعلى بنى أمية ، وعرفها عبد الملك لولا أن عفا عنه :

كان قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو الخزاعى من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة والثانية من تابعى أهل الشام ، وولد قبيصة على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح . ثم كان قبيصة على خاتم عبد الملك بن مروان وصاحب أمره وأقرب الناس اليـه ، وكان عبد الملك يستشيره فى أدق الأموز عنده وينزل على رأيه [1] .

وحرص قبيصة هذا حرصا شديدا على عبد الملك أن لا يأتيه صـوت يقلقه ، ولقى ابن محيريز قبيصة فقال له — وهو يعلم صلته بعبد الملك — : يا أبا اسحق ، عطلتم الثغور وأغزيتم الجيوش الى الحرم والى مصعب بن الزبير . فقال له قبيصة : احذر من لسانك فوالله ما فعل !

وعلم عبد الملك بما قال فأرسل اليه فجاءوه به متقنعا فأوقفـوه بين يديه ، فقال له عبد الملك : ما كلمة قلتها نغص لها ما بين الفرات الى العريش؟ ثم رأى عبد الملك أن يلين فلان له وقال : الزم الصمت فان من رأى البقية

---

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ ، ٢١٤ ، ج ٧ ص ٣٣٥ .

فى قريش والحلم عنها .. — ولم يكمل عبد الملك قوله — فرأى ابن‌محيريز أنه قد غنم نفسه يومئذ [1] .

يحيى بن أبى كثير :

ومما يلفت النظر فى أخبـاره المجملة ما روى عن أيوب بن سـويد قال : خرج الأوزاعى فى بعث الى اليمامة فقال له يحيى بن أبى كثير : بادر الى البصرة لتدرك الحسن وابن سيرين . قال : فانطلقت فاذا الحسن قد مات ، وعدت ابن سيرين وهو مريض . ثم قيل : انه سمع منه [2] .

وقالوا : انه اكتتب مرة فى بعث الى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبى كثير وغيره من مشايخ اليمامة ، وانقطع اليه فأرشده الى الرحلة للبصرة ليسمع فيها من الحسن وابن سيرين [3] .

ولم يعرف ماذا كان شأن البعث الذى خرج فيه الى اليمامة . والمرجح أنه بعث علمى مع رفقة له ليلقى هذا البعث عالم اليمامة يحيى . وقد لقيه فيه الأوزاعى .

ويحيى من الطبقة الرابعة من علماء الرواية ، وكان ثقة لايروى الا عن ثقة ، ويروى عن بعض الصحابة مرسـلا [4] ولحق به الأوزاعى وسـمع منه وأعجب بزهده وتحزنه ، فكان مما قال : ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء ، ولا أطـول حزنا من يحيى بن أبى كثير [5] ولعل الأوزاعى أعجب كـذلك بطريقته فى الاختصار فى الاسناد وارسال الحديث فقلده فيه . ويحيى هذا مات فى آخر الأموية أيام مروان بن محمد آخر خلفائها [6] .

---

(١) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .
(٣) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ — محاسن المساعى ص ٥١ .
(٤) الحديث المرسل : ما أسنده راويه الى الرسول من غير عنعنة .
(٥) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٢٠ .
(٦) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٠ .

ولما كان الأوزاعى كاتبا ويجيد الكتابة فانه لم يكتف بالسماع من يحيى ولكنه كتب عنه ، ولعله اصطحب قلمه فى كل الرحلات . ذلك أمر لم تفصله الروايات وانما هو مستنبط موثوق به .

أو لعل الأوزاعى لم يرحل الى يحيى ولكنه كاتبه ، اذ يقول الواقدى : كان يسكن بيروت ومكتبه باليمامة ، فلذلك سمع من يحيى بن أبى كثير [1] . وكذلك روى ابن سعد قال : كان مكتبه باليمامة فلذلك سمع من يحيى بن أبى كثير وغيره من مشايخ اليمامة . ومعنى مكتبه أو مكتبه — بضم الميم فيهما وكسر التاء مخففة أو مع التشديد — الذى يعلمه الكتابة أو الذى يراسله بها . واذن فلم يرتحل الأوزاعى على روايتى الواقدى وابن سعد وانما كتب الى يحيى وكتب يحيى اليه .

ومع هذا فليس غريبا على الأوزاعى أن يكون قد خرج الى اليمامة بنفسه ، وقد سار من قبل وهو فى العاشرة من دمشق أو من قرى البقاع الى بيت المقدس ، فلا يعزب عنه أن يسير الى ناحية من نواحى نجد وهو فى العشرين أو بعدها بقليل ، وهو المشمر الشجاع . ثم ان راوى قصة خروجه وهو أيوب بن سويد يقول : خرج الأوزاعى فى بعث الى اليمامة بلفظ « خرج » ولم يذكر المراسلة ولا الكتاب .

ومن رحلة الأوزاعى الى اليمامة يستنبط أمران بالغان : أولهما أن العلم والفقه قد انتشر فى البادية ذلك الانتشار فأينعت منه وصارت له فيها مدارس ومقاصد ، ولم ينحصر فى المدن التى تكثر فيها القاشية من العلماء والطلاب وجمهور الناس ، ولم يجهل أحد أن اليمامة كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب فى أيام أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — فى السنة الثانية عشرة من الهجرة على يد خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا [2] وهو أمر يبعث على الفخر والدهشة : أما الفخر فلأن مكانا من أمكنة الردة والدعوة الكاذبة قد أصبح مكانا كثير مشايخ الفقه الاسلامى وأعلامه ، وأما الدهشة فلأنه لم

---

(١) المعارف ص ٢١٧ — الطبقات ج ٧ ص ٤٨٨ .

(٢) معجم البلدان فى اليمامة .

يحدث مثله فى عصرنا ووسائل نقل العلم قد بلغت غايتها ، ولم يكن العالم حين ذاك قد تطورت فيه وسائل النقل سوى الابل والدواب والسير على الاقدام .

والأمر الثانى أن التعليم بالمراسلة الذى عظم أمره فى عصرنا كان موجودا ، ولم يكن مقصورا على تعليم الحروف والجمل وأوائل العلم ، بل كان قد بلغ القمة وتخرج فيه الأئمة . وهو أمر يبعث على الرضا عن تلك العصور التى لم تأل جهدا فى النهوض بالعلم وتيسير وصوله الى الطلاب والراغبين .

ومن الغريب أن تكون البادية أحد مصادره : والبادية التى عبرت بسرعة مذهلة — لا تكاد تقاس بالزمن — تاريخها الجامد القديم الذى وقف قبل الاسلام عند الفطرة والأمية والعناد ، ثم لم تلبث أن أصبحت هكذا تصدر العلم للقرى والمدائن التى ترفل فى المدنية منذ آلاف السنين . ومن أمثالها أن صارت اليمامة تعلم بيروت !

الحسن وابن سيرين :

ومنذ نصح يحيى للأوزاعى باللحاق بالحسن وابن سيرين فقد ارتحل الأوزاعى الى البصرة فدخلها ، فاذا بالحسن قد مات — فلم يسمع منه — واذا ابن سيرين مريض ، فعاده . ثم قيل انه سمع منه . ثم مات ابن سيرين . واذا كان هذان الفقهيان قد ماتا فى سنة عشر ومائة كما ذكر المسعودى فقد كان الأوزاعى قد بلغ العشرين أو زاد عليها قليلا [1] .

والحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد المعروف بالحسن البصرى كان مولى لزيد بن ثابت ، وقد ارتضع ثدى أم سلمة زوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأن أمه كانت مولاة لها فسمى رضيع الحكمة . وكان امام أهل البصرة ومن الطبقة الثانية من تابعيها ، بل كان — كما قال الذهبى —

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٤ .

امام أهل العصر . وقد روى الحسن عن خلق كثير من الصحابة والتابعين ، ومناقبه كثيره ومحاسنه غزيرة وعلومه مشهورة .

ومحمد بن سيرين أبو بكر الانصارى البصرى كان من طبقة الحسن ، وكان مولى لأنس بن مالك ، فهو داخل فى بيت النبـوة من طـريق الولاء كالحسن البصرى . ثم كان ابن سيرين اماما ربانيا ، وصار أبعد الأئمة شهرة فى تأويل الرؤيا [1] .

وحقا انها لخسارة جسيمة أصابت تجارة الأوزاعى فى بضاعة العلم اذ لم يتلق عن البصرى شيئا . وقد كان الحسن البصرى الامام شيخ الاسلام رجل علم وعمل وجهاد .

وتضاعفت خسارة الأوزاعى اذ لم يلق صاحبه ابن سيرين الا وهـو مريض فى النزع فقد كان على علمه فى التأويل والتعبير اماما غزير العلم ثقة ثبتا رأسا فى الورع [2] . وسواء سمع منه الأوزاعى أو لم يسمع فانه لقيه وهو مريض يموت ، وابن سيرين كان اذا ذكر الموت مات كل عضو منه ، فما باله وهو غريق فى لجته وأهواله ! .

والأوزاعى يحسم الأمر فى لقائه لهذا الامام فيقول انه رآه ولكنه لم يجلس اليه ، يقول : قدمت البصرة بعد موت الحسن بنحو من أربعين يوما ودخلت عـلى محمد بن سيرين فاشترط علينا أن لا نجلس فسـلمنا عليه قياما [3] .

وتتمثل خسارة الأوزاعى فى أنه لم يلق هذين العلمين فيكتسب منهما بالسماع الى ما يريده ويسأل عنه مما يوافقه من الخلق والزهد والتأويل ، فرجع عنهما وهو كاسف البال حزين .

وليس هذا كلاما عن عفو من الخاطر ، فان نصيحة يحيى بن أبى كثير له فى لقائهما وادراكهما قبل أن يموتا كانت عن فطنة منه لاستعداد الأوزاعى

---

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) محاسن المساعى ص ٤٥ .

ومطالبه ، فقد رآها يحيى عندهما ، ورأى فى بضاعتهما السلعة التى ينشدها الأوزاعى ، والا فلماذا خصهما يحيى دون غيرهما من العلماء وقد كانوا يملأون طباق الأرض عددا وفضلا ؟!

علماء الشام :

ثم لم تكن الرحلة الى دمشق بعيدة فهو يعاودها المرة بعد المرة أو يعود اليها بعد كل ارتحال بعيد ، وقد سكنها مدة قبل مرابطته بالساحل . وهناك فى قصبة الأموية لقى أول أستاذ له ، لقى « نمير بن أويس الأشعرى» وكان شيخه الأول الذى لزمه وتعلم منه وتأدب [1] .

وكان نمير بن أوس من الطبقة الرابعة من التابعين ، وكان زاهدا ، استقضاه هشام بن عبد الملك على دمشق فعمل فى القضاء ثم استعفى هشاما فأعفاه [2] . وقد توفى نمير سنة احدى وعشرين ومائة بعد أن نيف الأوزاعى على الثلاثين ، ولعله كان قد سكن بيروت .

ثم لقى الأوزاعى مكحولا الشامى والقاسم بن مخيمرة وجبير بن الحسن اليمامى من أعلام الطبقة الرابعة ، وغيرهم من العلماء العاملين ، وروى عن الجميع .

مكحول الشامى :

أما مكحول فهو أبو عبد الله ابن أبى مسلم الهذلى الفقيه الحافظ عالم أهل الشام . كانت داره بطرف سوق الأحد ، ولم يحدد ابن عساكر مكان هذه السوق فى تاريخ مدينة دمشق ، وانما ذكر أن بها مسجدا يسمى فى زمنه « مسجد العباسى » [3] .

---

(١) دول الاسلام ج ١ ص ٦٢ .
(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٧ .
(٣) تاريخ مدينة دمشق المجلدة الثانية القسم الأول ص ٧٠ .

وكان مكحول يرسل عن الصحابة ويروى عن التابعين . فهو أستاذ آخر للأوزاعى فى طريقة الارسال بعد ابن أبى كثير . وقد طاف مكحول الأرض فى طلب العلم : لم يدع بمصر علما الا وعاه ثم أتى العراق ثم المدينة فلم يدع علما الا حواه — فيما رأى — ثم أتى الشام فغربلها [1] — قائلا عن نفسه ذلك — وقد شهد له أبو حاتم فقال : ما أعلم بالشام أفقه من مكحول !

وقد أتى الشعبى وأعجب به وقال انه لم ير مثله ، ثم اختلف الى شريح القاضى ستة أشهر وكان لا يسأله فى شىء وانما كان يكتفى بما يسمعه يقضى به . وكتب الحظ لمكحول أن يرى أنس بن مالك الصحابى فى مسجد دمشق وقد سأله سؤالا واحدا وأجابه أنس عليه .

وخاض الناس فى القدر فى أيام مكحول ، وقد اختلف الرواة فى صلته بهذا الكلام ، فقال قوم انه برىء من القول فيه فلم يغمس فيه يدا ، وقال ابن سعد فى طبقاته انه تكلم فى القدر . ولكن مكحولا سلم على كل حال ، فانه اذا كان قد تكلم فانما تكلم على طريقة أهل السنة فيه ، ولعله كان أستاذ الأوزاعى فى ذلك ، وستتضح طريقتهما عند الكلام على رأى الأوزاعى فيه .

ومكحول هذا كان سنديا من كابل ، وقد كان ضعيفا فى العربية واللهجة لا يفصح . وقيل كانت فى لسانه لكنة — يجعل القاف كافا — وروى صاحب الطبقات أنه كان ينطق الحاء هاء ، وقد سمع يقول لرجل : ما فعلت تلك الهاجة — أى الحاجة — ولعله رمى بضعف الحديث وروايته لتلك اللكنة ولذلك الضعف فى الافصاح . وقد توفى مكحول سنة ثمانى عشرة ومائة أو قبل ذلك بخمس سنوات أو ست — كما اختلفوا [2] — وعلى القول الأول يكون الأوزاعى قد صار فى الخامسة والعشرين .

---

[1] النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٢ .

[2] تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٧ — المعارف ص ٢٠٠ — دول الاسلام ج ١ ص ٥٩ — الطبقات

القاسم بن مخيمرة :

وأما القاسم بن مخيمرة فهو الامام أبو عروة الهمذانى الكوفى نزيل دمشق . حدث عن قليل من الصحابة ولاسيما أبا سعيد الخدرى ، وعن بعض التابعين ومنهم القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص [1] .

وكان من العلماء العاملين ، مؤذنا — ولعل الأوزاعى قلده فى اضافة التأذين الى نفسه مع اقامة الصلاة وتولى التعليم — ثم كان القاسم زاهدا متوكلا يقتنع بالقليل ويقول : ما أغلقت بابى ولى خلفه هم — أى لا أتعلق بشأن من شؤون الدنيا سابق ولا لاحق — .

وقد قضى عنه عمر بن عبد العزيز دينا هو سبعون دينارا وحمله على بغلة وفرض له خمسين ، فقال له : أغنيتنى عن التجارة [2] وربما رمز القاسم بهذا القول الى قول عمر لموسى بن وردان : التاجر فاجر والفاجر فى النار — أى أغنيتنى عن الفجور فى طلب الربح ومساومة الناس — وقد كان عمر يكره كثيرا من التجار لذلك :

وقد حدث أنه لما كان أسامة بن زيد التنوخى واليا على خراج مصر أن ابتاع موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار فخزنه أسامة فى دار الفلل ، وكان أسامة اشتراه للوليد بن عبد الملك ليهديه الوليد الى صاحب الروم ، فخزنه فيها ، فحين ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز شكا موسى بن وردان الى عمر ليدفع اليه الثمن . قال موسى بن وردان : دخلت على عمر بن عبد العزيز فحدثته بأحاديث عمن أدركته من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكنت عنده بمنزلة ، أدخل اذا شئت وأخرج اذا شئت ، فسألته الكتاب الى حيان بن سريج فى عشرين ألف دينار أستوفيها من ثمن فلفل يدفعها الى ، فقال لى : ولمن العشرين ألف دينار ؟ قلت : هى لى . قال: ومن أين هى لك ؟ قلت : كنت تاجرا . فضربنى بمسطرته ثم قال : التاجر

---

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٥٢ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ .

فاجر والفاجر فى النار ! ثم قال : اكتبوا الى حيان بن سريج — وكان صاحب بيت المال — قال موسى : فلم أدخل عليه بعدها ، وأمر حاجبه ألا يدخلنى عليه [1] . فهذا ما أشار اليه القاسم بن مخيمرة حين فرض له عمر بن عبدالعزيز فأغناه عن التجارة .

وحسب الأوزاعى حين أخذ عن مكحول والقاسم أن يجمع عن مكحول علم مصر والعراق والمدينة والشام ثم يأخذ عن القاسم حديث أبى سعيد الخدرى الذى حدث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بألف ومائة وسبعين حديثا [2] .

أبو اسحق الفزارى :

وأخذ الأوزاعى المرابط فى ثغر بيروت عن مرابط آخر فى ثغر المصيصة، هو أبو اسحق الفزارى الكوفى الحجة شيخ الاسلام ، وكأنما كان الأوزاعى شبيه كل أستاذ له فيما انفرد به فكان مرابطا كالفزارى ومؤذنا كالقاسم بن مخيمرة ومرسلا الحديث كمكحول ويحيى بن أبى كثير .

وأولع الأوزاعى بالفزارى وأحبه فكان اذا حدث عنه قال : حدثنى الصادق المصدوق ، أو قال : حدثنى الصادق المصدق أبو اسحق الفزارى [3] وقالوا ان الفزارى حدث عن الثورى وحدث عنه الثورى .

وقد لحق الأوزاعى بشيخه وتساويا فكأنهما فرسا رهان ، تباريا فى الرواية والصدق والفضل حتى توازيا ، وقد حدث عنهما عبد الرحمن بن مهدى بقوله : كان الأوزاعى والفزارى امامين فى السنة ، اذا رأيت الشامى يذكر الأوزاعى والفزارى فاطمئن اليه . كان هؤلاء الأئمة فى السنة [4] .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص ٩٩ — الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ١٠٩ .
(٢) جوامع السيرة ص ٢٧٦ .
(٣) معجم الأدباء ج ١ ص ٢١١ — تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٣ .
(٤) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٣ .

فقهاء آخرون :

وأخذ الأوزاعى عن علماء الشام من فقهاء آخرين من أشهرهم جبير بن الحسن ومحمد بن الوليد الزبيدى وابن أبى النجاد :

أما جبير بن الحسن فكان من أهل اليمامة فقدم الشام ورأى عمر بن عبد العزيز وسمع رجاء بن حيوة ويعلى بن شداد وعطاء ونافعا وعون بن عبد الله بن عتبة والحسن البصرى . وروى عنه الأوزاعى [1] .

وأما محمد بن الوليد الزبيدى فكان من علمـاء حمص ، وكان أنبل أصحاب الزهرى محمد بن شهاب وأوثقهم ، أقام معه فى رصافة بغداد عشر سنين فأخذ عنه كل علمه . وقد شهد له الزهرى بأنه احتوى ما بين جنبيه من العلم ، ثم شهد له الأوزاعى ووثقه قائلا : ما أحد أثبت فى الزهـرى من الزبيدى . ولقد ارتحل الزبيدى هذا عن الشام فلما رجع اليها كان أعـلم أهلها بالفتوى والحديث [2] . وقد مات فى خلافة المنصور .

وأما ابن أبى النجاد فهو الحافظ الثبت يونس بن يزيد من أهل أيلة ، كان مولى لمعاوية بن أبى سفيان ، وكان من أصحاب الزهرى الأقـوياء ، وكان الزهرى اذا قدم أيلة نزل عنده ثم يزامله الى المـدينة . وعنه أخـذ الأوزاعى ، فكأنه أخذ عن الزهرى من علماء الشام مرتين : من الزبيـدى وابن أبى النجاد .

علماء العراق والجزيرة :

وأخذ الأوزاعى عن علمين من علماء العراق والجزيرة فى زمانهما ، هما الحكم بن عتيبة الكوفى وميمون بن مهران الرقى ، ولم تعرف طريقة التقاء الأوزاعى بهذين الامامين ، وفى أى الأمكنة طال جلوسه اليهما ، ولكنهما كانا يترددان الى الشـام والأوزاعى يلحق بهما اما فى دمشق أو حمص أو

---

(١) معجم البلدان المجلدة ص ٤٤٧ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ — الطبقات ج ٧ ص ٤٦٥ .

يلقاهما بمنى والحجاز فى أثناء الموسم . ولعله ارتحل اليهما بالعراق ولكن رحلته اليهما لم تذكرها التفاصيل .

الحكم بن عتيبة :

والحكم الحافظ الفقيه شيخ الكوفة حدث عن ثقات من التابعين من الطبقة الرابعة من طبقة مكحول ، وكان من حظه أن رأى — وهو غلام — زيد بن أرقم الصحابى حين كان يصلى على جنازة .

وكان الحكم فقيها مهيبا قد بلغ مكانا رفيعا فى الأمة ، فاذا قدم المدينة خلوا له سارية النبى — صلى الله عليه وسلم — يصلى اليها [1] . واذا اجتمع الناس فى منى ذاع فضله أكثر اذ كان العلماء يكونون عيالا عليه [2] . ولعل الأوزاعى سمع منه فى دمشق أو حمص أو فى أثناء الموسم . وقد مات الحكم فى سنة خمس عشرة ومائة وسن الأوزاعى تدنو من الثلاثين [3] .

ميمون بن مهران :

وميمون بن مهران هو الامام القدوة أبو أيوب الرقى عالم أهل الجزيرة [4] . وهو أقدم رتبة من الحكم بن عتيبة فهو من الطبقة الثالثة . روى عن جماعة من أعلام الصحابة منهم عائشة وأبو هريرة وابن عباس وابن عمر ، وأرسل عن آخرين منهم . وقد شهد له عمر بن عبد العزيز بالانفراد بالفضل : وذلك أن ميمونا كان عند عمر فلما قام قال عمر : اذا ذهب هذا وضرباؤه صار الناس رجراجة [5] .

وقد استعمله عمر على خراج الكوفة وقضائها على كره منه ، وقد أخبر ابنه عمرو بن ميمون بهذا الكره فقال : سمعت أبى يقول : وددت أن

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٧ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة .
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٥ .
(٤) الجزيرة : ما بين الدجلة والفرات بالعراق .
(٥) الرجراجة : الخيل الكثيرة المختلفة القوى والسير تسمع لها رجة وزعزعة . شبه بها أمثالها من الناس .

اصبعى قطعت من ها هنا ولم آل لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره ! — وانما دعا على اصبعه بالقطع لأنها العنصر الذى كان يكتب به الحسبة والأحكام —

وكان ميمون بزازا فلما عرض عليه عمر الحسبة والقضاء وأبى طلب اليه أن يتولاهما وهو جالس فى دكانه ، فلما ثقل عليه الأمر وكتب الى عمر يستعفيه من عمله كتب اليه عمر يقول فى الحسبة : انما هو درهم تأخذه من حقه وتضعه فى حقه فما استعفاؤك من هذا ؟ . وكتب اليه فى استعفائه منهما يقول : انى لم أكلفك ما يعنيك ، اجتن الطيب واقض بما استبان لك من الحق فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو أن الناس اذا ثقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا [1] . فلم يزل ميمون على الخراج حتى مات عمر وبقى عليه فى خلافة يزيد بن عبد الملك عدة أيام [2] .

ولم تمنعه العبادة والفقه وصلاته فى سبعة عشر يوما سبعة عشر ألف ركعة أن يقطع البحر غازيا الى قبرس مع معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة سبع ومائة بعد ما كبر وأسن ، وسار مع معاوية بن هشام فى جند من أهل الشام [3] ومات ميمون سنة سبع عشرة ومائة وهو فى الثمانين من عمره [4] . وكانت سن الأوزاعى حين ذلك حول الأربعين .

وهذه هى رحلة الأوزاعى الى العلماء فى طلب العلم لذاته حيث لم يكن له مقصد الا أن يتعلم ويتفقه ، أما ومع العلم شىء آخر فقد ارتحل الأوزاعى للحج ، وربما ارتحل اليه والى العمرة قارنا ومفردا مرات كثيرة لقى فيها أعلاما كبارا هم أعلى رتبا من كل من ذكرنا من قبل من علماء اليمامة والشام والعراق .

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص ١١٥ — ابن الجوزى ص ٩٧ — عبد الملك بن عمر ص ٥٦ .

(٢) الطبقات ج ٧ ص ٤٧٨ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ — الطبقات ج ٧ ص ٤٧٨ .

العلماء فى الموسم :

وفى أثناء الحج أو العمرة قدم الأوزاعى الى الموسم فلقى بالمدينة أو بمكة أو بمنى أعظم من لقى من العلماء ، حيث كانت الدنيا عامرة بهم ،وكان من أعظم من لقى الامام الثبت أبو جعفر محمد بن على زين العابدين الهاشمى العلوى المدنى الملقب بالباقر أحد الأعلام وسيد بنى هاشم فى زمانه كما لقى ابنه جعفر بن محمد الصادق ثم لقى مالك بن أنس وعطاء بن أبى رياح وسفيانا الثورى وجملة أخرى من جلة الفقهاء ، وكان للأوزاعى مع علماء الموسم أكثر مما كان له مع غيرهم من العلماء .

الامام الباقر :

وقد اشتهر محمد بن على بهذا اللقب لأنه بقر العلم وشققه فعلم أصله وخفيه . وقد روى عن الصحابة وأرسل ثم روى عن آبائه وعن الحسن بن على جده لأمه — ولم تكن روايته مقصورة على طريق واحدة فى الاسناد [1] .

وكان الأوزاعى ذكيا عارفا ، فلما لقى أبا جعفر الباقر سأله عن خفى العلم ومشكله ، لأن الباقر كان أهلا للاجابة عنه ، وما من أحد أولى به منه وقد أخبر بذلك اسماعيل بن أبى الزناد من أهل وادى القرى [2] قال : حدثنى ابراهيم — شيخ من أهل الشام — عن الأوزاعى قال : قدمت المدينة فسألت محمد على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن قوله عز وجل « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » فقال :

نعم ، حدثنيه أبى عن جده على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : سألت عنها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال « لأبشرنك بها يا على فبشر بها أمتى من بعدى : الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر

---

(1) انظر الكلام فى الحديث وطرقه ورأى أئمة الامامية فيه فى باب الحديث بجعفر بن محمد للمؤلف ومقدمة الاستبصار لأبى جعفر الطوسى .

(2) وادى القرى : واد به قرى كثيرة بائدة بين الشام والمدينة كانت منازل عاد وثمود — معجم البلدان فى قرى .

الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة وتزيد فى العمر وتقى مصارع السوء »[1].

ويدرك من لقاء الأوزاعى للباقر وسؤاله اياه عن خفى العلم ومشكله أن الأوزاعى كان مستحضرا سؤاله فى المتشابه الذى كد خواطر الأمة وأجهد المفسرين . ولعل هذا وأمثاله من البحث عن المعضلات كان مما دعا الى وصف الأوزاعى بأنه من أهل الرأى ، اذ السلف جميعا لا يلحفون وراء المتشابهات.

ويدرك أيضا أن الأوزاعى قد أقر جواب الباقر وفضله اذ قصده وحده بسؤاله عن معنى المحو والاثبات فى المشيئة ، ثم اقتنع بالجواب فلم يستأنف الكلام . وقد كان مما روى الأوزاعى عن الباقر حديث رسول الله : « العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه » رواه عن أبى جعفر الباقر الذى رواه عن سعيد بن المسيب[2] .

وقد مات الامام الباقر وسن الأوزاعى تدنو من الثلاثين ولم يذكر الرواة فى أى سنة لقيه وكم كان عمره ، ولكن هذا اللقاء للباقر يفيد أن الأوزاعى عاود الرحلة الى الموسم والمدينة مرات أخرى ، وسيتضح ذلك فيما يأتى من قريب .

ولكن الأمر الذى يبعث على السؤال هو : لماذا لم يلق الأوزاعى جعفر ابن محمد فى المدينة كما لقى أباه ؟

لقد سكتت كتب الحديث والسيرة — فيما رأيت منها — عن الاجابة، ولم يكن من بأس أن يلقاه الأوزاعى ويتحدث عنه وان كان جعفر من طبقته كما حدث عن غيره . ولكن لعل جعفر بن محمد لم يكن بالمدينة فى كل مرة زارها فيها الأوزاعى ، أو لعل جعفرا لم يلق الأوزاعى فى علم وفقه وفتوى مادام قد لقى أباه ، وهذا أدب ذلك البيت العظيم ، أو لعلها المرة الوحيدة التى راح فيها الأوزاعى الى أئمة أهل البيت بالمدينة . وكل هذه ظنون

---

(١) محاسن المساعى ص ١٤٠ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٨٥ .

يجوز أن يصدق واحد منها . أما أن الأوزاعى لم يلق الصادق لأن الأوزاعى كان يميل كل الميل الى الأمويين فليس ذلك برأى مادام قد لقى الباقروتحدث اليه وأخذ عنه .

غير أنه قد أتيح لى فيما بعد هذا أنى رأيت كتاب « رجال الطوسى » وفى طبعته الجديدة يقول : غير أن نسخة من نسخ هذا الكتاب — أى المخطوطة — ذكرت الأوزاعى ضمن أصحاب الصادق رضى الله عنه ورقمه فى أصحابه ١٣٣ ، ذكرته هذه النسخة تقول : عبد الرحمن بن عمروالأوزاعى الفقيه ، والأوزاع بطن من همدان [١] .

وقد قال محقق هذا الكتاب : وقد روى الأوزاعى هذا عن الامام أبى عبد الله الصادق — رضى الله عنه — كما لا يخفى على من لاحظ « باب من قال لا اله الا الله حقا حقا » من الكافى للكلينى — رحمه الله — فان هناك رواية له عنه رواها أبو عمران الخراط [٢] .

مالك بن أنس :

وقد لقى الأوزاعى مالك بن أنس بالمدينة ، وما من ريب فى أن هذه المرة غير التى لقى فيها الباقر ، والأمر ظاهر ، فلما لقيه تذاكرا من الظهر حتى صليا العصر ، ثم عادا الى المذاكرة حتى صليا المغرب ، فغمره الأوزاعى فى المغازى وغمره مالك فى الفقه أو فى شيء من الفقه [٣] وعاد الأوزاعى من هذا اللقاء يعظم قدر مالك فجعل يقول كلما ذكره : قال عالم العلماء أو قال عالم المدينة أو قال مفتى الحرمين [٤] .

ومالك بن أنس هو صاحب المذهب — ولمذهبه مع مذهب الأوزاعى حديث سنعرض له فى فصل مستقل فيما بعد — وكان رجلا عظيم المهابة

---

(١) رجال الطوسى ص ٢٣١ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة — انظر الهامش .

(٣) محاسن المساعى ص ٦٦ .

(٤) نور الأبصار ص ٢١١ .

كبير الوقار غزير العلم متشددا فى دينه . وتلاقيه مع الأوزاعى فى فقه منه وكلام فى المغازى من الأوزاعى يبين منه لأول وهلة للناظر انفراد مالك بالاختصاص .

لقيه الأوزاعى وأخذ عنه ، فانتهى اليه علمه وعلم أستاذ مالك ربيعة بن عبد الرحمن المشهور بربيعة الرأى . وربيعة ومالك صاحبان كان يعلم أحدهما الآخر ثم يعود فيأخذ عنه ، غير أن مالكا قد استحصد فى النهاية فصار معلما لمعظم معلميه . ويقول مالك نفسه فى ذلك : قل رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى يجيئنى فيستفتينى [1] .

عطاء بن أبى رباح :

وعطاء بن أبى رباح أبو محمد بن أسلم القرشى المكى وهو القدوة العلم ، لقيه الأوزاعى بالموسم وأخذ عنه المناسك وحسن الجواب ، وقد قال فيه الأوزاعى : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس . وفيه يقول الامام الباقر : ما بقى على وجه الأرض أعلم بمناسك الحج من عطاء [2] .

وقد أعجب الأوزاعى بمجلس عطاء وذكره لله فيه من حيث لا يفتر ولا ينقطع خشوعه ، حتى قال فيه الأوزاعى : ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء ولا أطول حزنا من يحيى بن أبى كثير .

ومما يشهد لعطاء بدقة علمه فى المناسك كما قال الباقر وكما أمر بنو أمية أن لا يفتى الناس فى الموسم غير عطاء ما حكى عن وكيع قال :

قال لى أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأت فى خمسة أبواب من مناسك الحج [3] بمكة فعلمنيها حجام : وذلك أنى أردت أن أحلق رأسى فقال

---

(١) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٨٤ .
(٢) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٢٠ .
(٣) المناسك : جمع منسك وهو العبادة أو مكانها .

لى : أعرابى أنت ؟ قلت : نعم . وكنت قد قلت له : بكم تحلق رأسى ؟ فقال: النسك لا يشارط فيه ، اجلس . فجلست منحرفا عن القبلة فأومأ الى باستقبال القبلة . وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر فقال : أدر شقك الأيمن فأدرته . وجعل يحلق رأسى وأنا ساكت فقال لى : كبر ، فجلست أكبر حتى قمت وذهبت . فقال : أين تريد ؟ فقلت : رحلى . فقال : صل ركعتين ثم امض .

قال أبو حنيفة : فقلت : ما ينبغى أن يكون هذا من مثل هذا الحجام الا ومعه علم ، فقلت : من أين لك ما رأيتك أمرتنى به ؟ فقال رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا [1] .

وهذه القصة الطريفة تشهد بما شهدوا به لعطاء من أنه كان لا يفتر ولا ينقطع عن ذكر الله والاتجاه اليه فى قوله وعمله وبدنه واتجاهه ، مما خفى على أبى حنيفة أمره قبل أن يتعلمه من الحجام .

وقد مات عطاء هذا سنة خمس عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها ، وكان الأوزاعى يقرب من الثلاثين [2] .

سفيان الثورى :

وأما سفيان الثورى فقد صحبه الأوزاعى فى أكثر من طريق : صحبه بمكة وأخذ عنه ، وأعجب الأوزاعى به لتواضعه وزهده وصدقه واخلاصه ، وكان الأوزاعى فى أول اجتماعه بالثورى أكثر مسالمة واعتدالا ، ثم لم يبرح أن تعلم من الثورى الحدة والاقدام .

لم يكن الأوزاعى عند لقائه للثورى تلميذا له ولكنه كان زميلا ومثيلا، بل رأى فيه الثورى ومالك بن أنس معه أنه امام كبير يجب أن يلقى بالاجلال وتبذل له مظاهر التكريم حتى يعرف الناس فضله ويجد هو جزاءه الذى

---

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٥ .

يستحقه من أهل العلم والدين . وقد رأى الأوزاعى فى سفيان مثلما رأى سفيان فيه ، فكان يقول اذا حدث عنه : لم يبق من تجتمع عليه الأمةبالرضا والصحة الا سفيان [1] .

وحج الأوزاعى مرة فبلغ سفيان الثورى مقدمه الى مكة فخرج حتى لقيه بذى طوى [2] ، فحل سفيان رأس بعيره من القطار — قطار الابل — ووضع الحبل على رقبته ، فكان اذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ ! أى افسحوا له — .

ومع ما عرف عن الامام مالك من التمنع والترفع فانه اشترك مع الثورى فى تكريم الأوزاعى وجعل يسوق بالقطار ، حتى أجلساه عند الكعبة ،وجلسا بين يديه يأخذان عنه [3] .

هذا وسنعود الى طريقة سفيان وأخذه بالسنة دون الرأى عند الكلام على مذهب الأوزاعى وما يراه من الرأى .

جماعة من الأعلام :

وقد لقى الأوزاعى غير هؤلاء من الأعلام ابن شهاب الزهرى وعبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر ومحمد بن ابراهيم التيمى وابن جريج ونافعا مولى ابن عمر بن الخطاب .

وكل هؤلاء الرجال كانوا ما بين رجال من الطبقة الثالثة ورجال من الخامسة التى هى طبقة الأوزاعى ، وبين الثالثة والثانية التى قبلها تداخل ، وبين الخامسة والسادسة تداخل . فكأن الأوزاعى قد تلقى علمه وألقاه فى أعلام من خمس طبقات .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) ذو طوى : — بفتح الطاء وضمها مع فتح الواو — موضع عند مكة .

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١٠ — محاسن المساعى ص ٦٢ .

أما ابن شهاب الزهرى فهو المدنى السخى الجواد ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وجالس سعيد بن المسيب ثمانى سنوات ، وقد صبر على العلم حتى أتقنه وصار أعلم الحفاظ ، وقد روى الليث بن سعد فقيه مصر ما قاله الزهرى عن نفسه فى ذلك ، قال : ما صبر أحد على العلم صبرى ولا نشره أحد نشرى [1] .

وقد أكثر الأوزاعى من الرواية عنه وعن أخيه الأكبر عبد الله بن مسلم وكان طريقهما فى الحديث الى أبى هريرة .

ومع أن الزهرى يعد تابعيا وأخذ عنه الأوزاعى فقد أخذ الزهرى كذلك عنه ولم يكن الأوزاعى من التابعين ، وربما رفع هذا من طبقة الأوزاعى ومكانته فى النفوس .

وأما عبد الرحمن بن القاسم فهو الفقيه الحجة أبو محمد القرشى التيمى المدنى الامام . سمع أباه القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى اليهم علم المدينة [2] وسمع أسلم مولى عمر . وكان ثقة كبير القدر ورعا ، من أفضل أهل زمانه . وهو خال جعفر بن محمد الصادق .

وولد عبد الرحمن فى حياة عائشة الصديقة عمة أبيه . ومات بحوران سنة ست وعشرين ومائة . وكان عمر الأوزاعى حين ذلك قد قارب الأربعين .

وأما محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى المدنى فكان اماما ثقة جليل القدر . روى عن الصحابة ومنهم أبو سعيد الخدرى ، ثم روى عن التابعين وهو صاحب حديث « نية الأعمال » [3] .

وقد روى الأوزاعى عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز المكى . وأظنه قد تأثر — لا محالة — برأى ابن جريج فى كتابة الحديث . وكان رأيه أن قراءة الحديث من صحيفة والسماع واحد ، وانما اختلف الناس فى الصحيفة : يأخذها ويقول : حدث بما فيها ولم يقرأها [4] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٥ .

(٢) الفقهاء السبعة هم سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن والقاسم بن محمد وعروة ابن الزبير وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) المعارف ص ٢١٤ .

ومعنى هذا الكلام أن الناس — أى أهل الحديث — كانوا يرون أنه لابد من الحفظ حتى لو كان الحديث المسموع مكتوبا فى صحيفة ، ولكن لا يعتمد عليها الحافظ بقدر ما تكون معه مستندا لصحة حفظه . غير أن ابن جريج رفع شأن الكتابة الى مقام الحفظ وجعلهما مستندين .

ويتبين مما فعل ابن جريج وفعل الأوزاعى وأمثالهما أنها كانت خطوة فى ذلك العصر نحو اقرار المكتوب من الحديث وصحة الأخذ به عن الثقات، ثم لم يلبث الزمن أن جعل المكتوب أوثق وأولى ثم جعله كل شىء .

وأما نافع مولى عبد الله بن عمر فهو أبو عبد الله العدوى المدنى . كان من الطبقة الثالثة من التابعين . وقد حدث عن ابن عمر وعن عائشة وأبى هريرة وأم سلمة ورافع بن خديج وأبى لبابة وطائفة . فكان بذلك ثقة كثير الحديث [1] . وقد قال البخارى وغيره : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر .

ومما قيل : ان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان قد أعجب بعلم نافع وذكائه فأعطى ابن عمر فيه اثنى عشر ألف درهم فأبى ابن عمر أن يأخذ المال وأعتق نافعا ، وكان نافع عنده كبعض ولده [2] .

ونافع هذا كان المعلم الذى اختاره عمر بن عبد العزيز فأرسله الى أهل مصر ليعلمهم السنن . وكانت فيه لكنة لأنه من الديلم . ومات سنة سبع عشرة ومائة .

جملة من الفقهاء :

ثم حدث الأوزاعى عن بقية بن الوليد والوليد بن أسلم [3] الذى سمع من طريق أبى هريرة ومن طريق المغيرة بن شعبة [4] وكان الأول حمصيا والثانى دمشقيا كثير الحديث والعلم .

---

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٩ ، ٣٠٣ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٧ .

كما روى عن محمد بن عبد الملك بن مروان وروى عن ابن لهيعة قاضى الديار المصرية وعالمها ومحدثها . ولعله كان يجتمع بهؤلاء وغيرهم فى بعض المواسم أو كان يروى عنهم بالمكاتبة . وكذلك روى عن ابراهيم بن مرة الذى حدث عنه الزهرى [1] وابراهيم بن أبى حفص .

* * *

ومع كل هذا التفصيل فلابد أن يعرف أن هؤلاء ليسوا هم كل من سمع منهم الأوزاعى ، كما أنهم لا يتساوون فى الطبقة أو فى درجات الحديث ومراتب الفقه والمكانة ، بل بعضهم يفضل بعضا ، وبعضهم أعطى الأوزاعى أكثر من البعض . كما يجب أن يعرف أن الأوزاعى قد أخذ من طبقة تلاميذهم الذين سنذكرهم فى الباب التالى . وكانت هذه عادة أهل ذلك الزمان ، أو هى عادة العلماء فى كل زمان ، لايستنكف الكبير منهم أن يأخذ عن الصغير متى وجد عنده علما وفضلا . ومثل ذلك الأوزاعى وبعض أصحابه الذين هم أشباه وأمثال [2] .

كما يستفاد من كل هذا التفصيل أنه قد اجتمع لدى الأوزاعى علم الحجاز : مكة والمدينة . وعلم العراق ومصر والشام . كما اجتمع له علم افريقية . ويدل على هذا الأخير أنه كان أحد الرواة عن اسماعيل بن عبيدالله ابن أبى المهاجر القرشى المخزومى ، وهو الذى استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل أفريقية ليحكم بينهم بكتاب الله وسنة نبيه ويفقهم فى الدين ، وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر ليعلموا جيل البربر الاسلام [3] .

ولم يتأثر الأوزاعى بعلم هؤلاء وآرائهم وحسب ، بل تأثر بأخلاقهم وسلك طرائقهم . فلما اجتمع له كل ذلك أو أكثر صدر بالأقوال والفتوى ، وتبعه الناس على مذهبه فى الشام كلها ، ثم سار مذهبه مع الجند الى المغرب والأندلس فانتشر هناك وبقى عهدا طويلا .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٧٠ .

(٢) معجم الأدباء ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) رياض النفوس ج ١ ص ٧٥ .

والأوزاعى — وان كان قد تتلمذ على فقهاء بلدان كثيرة — فقد كان فى طبقة من تتلمذ عليهم أو أعلى طبقة من بعضهم . وقد انفرد على الساحل الغربى للمملكة الاسلامية بتعليم الدين واذاعة آدابه وتقرير أحكامه . ولم يشاركه فى هذا الجانب من الأرض العربية الاسلامية أحد فى مكانه أو يدنو منه الا قليل ممن هم أدنى منه شأنا وأقل علما .

تلاميذه وبلادهم

دائرة علمه . تلاميذه الكتاب . في بيت المقدس . في الشام ومصر . في الحجاز والعراق . بين المغرب وخراسان . في الأندلس . طريقة التعليم . العلم والعلماء .

دائرة علمه :

من تلاميذ الأوزاعى يستطاع أن تدرك الآماد الذى انتشر فيها علمه . ومن المسلم به أن ما سمعوه منه لم يكن هو كل العلم الذى تعلموه ، بل جاءهم من أساتذة كثيرين معه ، سوى واحد لا غيره هو عبد الحميد بن أبى العشرين ، فلم يكن معه غير علم الأوزاعى . وسنشير اليه من قريب .

ولم يكن التلميذ حين ذاك يكتفى بأستاذ واحد ولا طريقة واحدة ولا بلد ، وانما كان يتنقل ما استطاع ويحمل كل ما اقتدر عليه . ولقد تبين مما فعل الأوزاعى مقدار ما ارتحل اليه من البلاد وما بذل من جهود وما لقى من معلمين . وربما بذل التلميذ فى رحلاته للعلم أموالا كبيرة كما قالوا عن على بن عاصم أحد من رووا عن الأوزاعى ، فقد أعطاه أبوه مائة ألف درهم وأمره بالخروج ونهاه عن العود اليه الا ومعه مائة ألف حديث . وسنأتى على ذكره بعد .

ومن المسلم به أيضا أن ما حدثهم به الأوزاعى كان كثيرا ، لأن الامام كان عنده الكثير . وشيوع علمه وحديثه وفقهه فى البلدان على أيدى طلاب من مختلف الألوان يذيع هذا العلم ويبثه ، حتى اذا لم يكن لصاحبه مذهب بذاته وأتباع مخصوصون به ، فان هذا العلم يبقى فى أثناء المذاهب الأخرى ولا يضيع .

وهذا نفسه الذى حدث : فان الأوزاعى كان له مذهب قد انتشر فى الشام وأفريقية والمغرب والأندلس — وسيأتى ذكر ذلك مفصلا — ولكنه لم يلبث أن تضاءل ورجع ، لابتضاءل ما فيه من علم وفقه ، ورأى ، ولكن بتضاءل الأتباع وقلتهم ، وباتجاه الناس بحكم الحوادث والظروف الى مذاهب أخرى كانت العوامل تعين على نموها وانتشارها بين الأنصار والاتباع .

أما علم الأوزاعى وروايته وفتـاويه فانها بقيت وانتشرت ورسخت ، وصار له فى داخل كل مذهب من المذاهب التى بقيت آراء وفتاوى ، كما صارت له فى الكتب الستة وغيرها مما لا يحصى روايات وأحاديث .

وأعتقد أن مكان الأوزاعى قد ارتفع بذلك الى قمة المجد ، فبدل أن نراه فى الأتباع — وقد يكونون جهلاء أو أدعياء أو متعصبين — نراه عند الأئمة الأعلام ، وفى الكتب الصحاح اذا أعوزنا الرأى وعزت علينا الفتوى .

وعلم الأوزاعى انتشر أكثر ما انتشر فى بلاد الشام كلها ، ولا سيما فى الدائرة التى مركـزها دمشق ومحيطهـا بيت المقـدس وبيروت وحمص وقيسارية . وفى بيروت ألقى الأوزاعى دروسه ووعظ وخطب ، ومنها ترسل وكتب ، وفيها اعتزل وتعبد وصار قدوة . وكانت فى بيروت غاية نضجه وقمة مجده ونهاية عمره ومثوى رفاته ومطاف ذكراه .

تلاميذه الكتاب :

وأول تلاميذه استحقاقا للذكر أولئك الذين تتلمذوا عليه وكتبوا له : أبو سعيد البيروتى والهقل بن زياد وسعيد بن عبد العزيز [1] وعقبة بن علقمة والوليد بن مزيد وصدقة بن الفضل [2] وبشر بن بكر [3] وعلى أيدى هـؤلاء الكتاب وغيرهم معهم انتشرت فى آفاق البلاد رسائل الأوزاعى وفتاويه .

وأبو سعيد البيروتى هو عبد الحميـد بن حبيب بن أبى العشرين ، أصله دمشقى ، سكن بيروت ولزم الأوزاعى وكتب له . وكل علم أبى سعيد — كما سبقت الاشارة — عن الأوزاعى ، فانه روى عنه وحده ولم يرو لأحد سواه . وكان لذلك الاختصاص بالأوزاعى أوثق أصـحابه لملازمته وانصرافه اليه وحده دون غيره .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢١٩ .
(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .
(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٩ .

ولأصحاب الحـديث فيه آراء : أكثرها أنه لا بأس به ، أو أنه ثقة مستقيم الحديث [1] وقد نقل ابن أبى العشرين حديث الأوزاعى وعلمه الى دمشق بنفسه ، ثم كتبه بالرسائل الى الآفاق .

ومما نقله عبد الحميد بن أبى العشرين رواية الأوزاعى فى تخيير النبى — صلى الله عليه وسلم — بين الدنيا والآخـرة وفطنة أبى بكر الى ذلك ومدح النبى لأبى بكر عـلى هذه الفطنة ما نقله البـلاذرى فى « أنساب الأشراف » قال :

حدثنى هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين أنبأ الأوزاعى عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال :

سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم « ان عبدا خير بين الدنيا والآخرة » ففطن أبو بكر فبكى فقال له أبو سعيد الخدرى : يا أبا بكر ما يبكيك من عبد خير بين الدنيا والآخـرة فاختار الآخرة ؟ فنظر النبى — صلى الله عليه وسلم — الى أبى بكر فقال « ان أمنكم على بصحبته وذات يده لابن أبى قحافة ، سدوا كل خوخة فى المسجد الا خوخة أبى بكر » [2] .

والهقل بن زياد هو أبو عبد الله الدمشقى السكسكى نزيل بيروت ، كتب للأوزاعى وتتلمذ عليه وحمل علمه من بعده ، والأوزاعى أعلى رجل فى أساتيذه وقد صحبه طويلا حتى كان أعلم الناس به وبمجلسه وفتواه . ثم حدث عن غيره .

ولما حدث الهقل فى الشام لم يكن بها أحد أوثق منه [3] وظل يحـدث بها بعد الأوزاعى أكثر من عشرين سنة ، ومات سنة توفى الامام مالك : سنة تسع وسبعين ومائة [4] .

---

(١) محاسن المساعى ص ١٥٧ ـ تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١١٢ .

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٤٧ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٩٧ ـ والهقل بكسر الهاء وسكون القاف .

وأما سعيد بن عبد العزيز فهو الفقيه الامام أبو محمد التنوخي الدمشقي، وكاد يكون من طبقة الأوزاعى وممن تتلمذ على عطاء ومكحول ونافع وربيعة والزهرى وغيرهم ممن هم فى طبقهم . وكان الأوزاعى يرعى له مكانته .وقد قال الوليد بن مزيد : كان الأوزاعى اذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال : سلوا أبا محمد [1] .

وعقبة بن علقمة هو ابن حديج المعافرى . كان أفريقيا من طرابلس الغرب ثم سكن الشام وعاش فى بيروت معاصرا للأوزاعى كاتبا له . ولكنه فى الرواية عن الأوزاعى كان أقل مرتبة من بقية الكتاب . وقد قال عنه ابن عدى : روى عن الأوزاعى مالم يوافقه عليه أحد . وربما كان ذلك لأنه مال الى رواية الغرائب . وقد مات عقبة بعد الأوزاعى بخمسين سنة . فيبدو أنه كان قد لقى أستاذه وهو صغير ثم افتتن بروايات أعجبته فى سن الصغر فلما روى عن الأوزاعى أنكر عليه ابن عدى والناس جميعا ما روى عنه . كما يبدو أن مثل هذه الروايات تكون مما يوهن أمر المروى عنه وان كان منها بريئا .

والوليد بن مزيد — وهو من صدرت هذا الكتاب بكلمته — فهو العذرى البيروتى . كتب للأوزاعى وقد وثق أستاذه كتابته فكان يقول : ما عرضت فيما حمل عنى أصح من كتب الوليد بن مزيد . ولم يكن الوليد ممن يحفظ ولكن كتبه كانت صحيحة [2] .

وأما صدقة بن الفضل فقد روى عنه البخارى عن الأوزاعى [3] . وأما بشر بن بكر فيبدو أنه كان ممن أعجب بالأوزاعى فى التوقف عن الرأى سيرا على طريق ابن عباس والسلف . وقد روى عن الأوزاعى فى ذلك مارواه الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة عن ابن عباس قال :

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) معجم البلدان المجلد ١ ص ٢٨٤ .

(٣) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .

من أحدث رأيا ليس فى كتاب الله عز وجل ولم تمض به سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يدر ماعلى ماهو منه اذا لقى الله عز وجل[1] .

هذا . وممن كتب عن الأوزاعى — بالمراسلة — محمد بن عبد الله بن علاثة من أهل حران . وكان يتزيد على الأوزاعى[2] ومحمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيبانى صاحب أبى حنيفة امام أهل الرأى ، وأصله شامى من حرستا[3] .

وبتتبع هؤلاء وغيرهم ممن كتب عن الأوزاعى يتضح أن روايات الأوزاعى قد جاوزت الشام وفلسطين الى حران والى العراق والى طرابلس الغرب ، ومع أن من ذكرنا من الكتاب لم تجاوز مواطن أكثرهم بلاد الشام وحران فانهم تجاوزوها فيما يكتبون ويتراسلون .

ثم كان اتصاله هناك بابن محيريز — وقد سبق الكلام عنه — .

فى بيت المقدس :

وقد ارتحل علم الأوزاعى معه الى بيت المقدس منذ أن ارتحل اليه . وقد حدث محمد بن كثير بن مروان الفهرى أحد تلاميذه قال : رأيت الأوزاعى فى صحن بيت المقدس وقد أتى خبا من جبانه فاستقى دلوا من ماء فوضعه وجلس يتوضأ منه . فقال له بعض المارة : ياشيخ ، أما تخاف الله ! تتوضأ فى المسجد ؟ فقال له الأوزاعى :

تفقه فى الدين ثم أفت[4] .

وفى هذا صحة الوضوء فى المسجد — أى فى حرمه — ثم فيه حكم بأن الفقه يجب أن يحصل عليه المرء قبل أن يفتى . وهى فتوى للأوزاعى

---

(١) الاحكام فى أصول الأحكام ص ٧٨٢ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٨٩ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٢ — وكانت حرستا قرية عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص — معجم البلدان المجلد ٢ ص ٢٤١ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩٤ .

ودرس ألقاه على عابر سبيل ، وربما لم ينتفع هذا العابر بما قال ، وهى عادة الجهلاء يفتون بما لا يعلمون فى هجاء وحمق ثم يمضون .

فى الشام ومصر :

ونشر الأوزاعى علمه فى الشام بنفسه ، ثم أعان على شيوعه هنـاك — من غير كتابه السابقين — محمد بن شعيب والفريابى ويحيى بن حمزة وغيرهم .

وابن شعيب هو الامام المحدث أبو عبد الله الدمشقى ، كان مولى لبنى أمية . نزل بيروت . وعنه انتقلت الرواية الى بعلبك التى ولد فيها الأوزاعى ثم الى مصر . وكان ابن شعيب ذا مـكانة فى الفقه حتى انه كان يفتى فى مجلس الأوزاعى [1] — فهذان اثنان من تلاميذه أحـدهما يفتى فى مجلسه وهو ابن شعيب وآخر يفضل الأوزاعى أن يسأله الناس قبل أن يسألوه وهو سعيد بن عبد العزيز . وهو ما يشهد بفضل الأوزاعى وفضل مجالس العلم فى ذلك الزمان اذ يعطى كل ذى حق حقه أو يفضل كل واحد صاحبه عن نفسه متى كان أهلا للفضل — .

والفريابى هو الحافظ العابد الورع . كان من أهل الشام مستجاب الدعاء ويقع حديثه عاليا فى الصحيح . ارتحل اليه أحمد بن حنبل فى أخريات أيامه فبلغه موته وهو فى الطريق فرجع من حمص [2]

وأما يحيى بن حمزة فهو الامام البارع قاضى دمشق وعالمها . بقى فى القضاء نحوا من ثلاثين سنة . وحديثه فى كتب الاسلام الستة .

وقد روى عن الأوزاعى من أهل الشام غير هؤلاء خلق كثير ، منهم حماد بن مالك الحرستانى من قرية حرستا بلد محمد بن الحسن الشيبانى الذى سبق الكلام عنه . وأبو أيوب المحاربى الدارانى كان من قبل قاضى

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢١٦ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٧٦ .

دمشق لعمر بن عبد العزيز . ويزيد وهشام ولدى عبد الملك [1] . وفديك بن سليمان العقيلى القيسرانى من قيسارية فلسطين [2] .

وقد ظل الفقهاء يحدثون بعلم الأوزاعى وحديثه حتى بعد موته بعهد طويل . ومن هؤلاء أبو القاسم على بن محمد السميساطى المتوفى بدمشق سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . حدث بشىء من حديث الأوزاعى الذى جمعه آخرون [3] والحافظ أبو القاسم العساكرى البجى من بج حوران [4] ومسلمة ابن على بن خلف أبو سعيد الخشنى من بيت البلاط [5] من قرى الغوطة بدمشق . وآخر من أصحابه يسمى العباس بن يزيد كان صاحبا للأوزاعى وعده على بن حزم فى فقهاء الشام بعد الصحابة رضى الله عنهم [6] .

وقد ظل مذهب الأوزاعى يدرس بالشام حتى منتصف القرن الهجرى الرابع . وقد أرخ الذهبى لذلك فى « دول الاسلام » بموت مفتى دمشق على مذهب الأوزاعى وهو القاضى أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم سنة سبع وأربعين وثلثمائة . وكانت له حلقة كبيرة بالجامع [7] ولكن صاحب معجم البلدان ذكر السميساطى المحدث بعلم الأوزاعى المتوفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . ولعل الذهبى ذهب الى المذهب حين كان مذهبا رسميا ثم ذهب ياقوت اليه حين كان يدرس ويحدث به . ولعل المذهب قد استمر باقيا يدرس بعد ذلك بالشام حتى غلب مذهب الشافعى فى أيام صلاح الدين . ثم كان للأوزاعى فى دمشق مسجد باسمه ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخها [8] .

وبمحمد بن شعيب تجاوز علم الأوزاعى الشام وحران فبلغ ديار مصر. ولكن وراء ذلك كله ماهو أهمّ وأكبر وسنبينه فيما يلى :

---

(١) معجم البلدان المجلد ٢ ص ٤٣٢ ـ ونسب الى داريا على غير قياس .
(٢) معجم البلدان فى قيسارية .
(٣) معجم البلدان المجلد ٣ ص ٢٥٨ .
(٤) المرجع نفسه المجلد ١٠ ص ٣٣٩ ـ والبج قرية كانت على باب دمشق .
(٥) المرجع نفسه المجلد ١ ص ٥١٩ .
(٦) الاحكام ص ٦٧٣ .
(٧) دول الاسلام ج ١ ص ١٦٨ ـ محاسن المساعى ص ٥ ـ النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٠ .
(٨) تاريخ مدينة دمشق المجلدة الثانية ص ٧٠ .

في الحجاز والعراق :

قلنا ان الأوزاعى كان أحيانا أستاذا لمعلميه ورجال طبقته ، وأحيانالرجال من الطبقة التى تليه من الأعلام وسادة البلدان : فكما أخذ هو عن أبى عبد الله مكحول الشامى أخذ عنه مكحول ، فكان حالهما معا كحال مالك وربيعة الرأى .

ثم لم يكن فى زمن مكحول أبصر منه بالفتيا . كان على تقوى ظاهرة ولكنه كان حذرا اذا اضطر لابداء رأى — بعد الرجوع للقرآن والحديث والسنة — فلا يفتى حتى يقول : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، هذا رأى والرأى يخطىء ويصيب [1] ومن دمشق ذاع علم مكحول .

وأخذ سفيان الثورى عن الأوزاعى كما أخذ عنه ، وكان كل منهما يجل صاحبه ويكرمه — وقد أوضحت فى الباب السابق كيف لقيه الثورى بمكة وكيف سار فى موكبه مالك بن أنس . وكيف جالسه مالك وحدثه فى الفقه أو فى شىء منه وكيف أغرقه الأوزاعى فى الحديث عن المغازى .

واذا كان الثورى يسافر ببعض ما أخذ عن الأوزاعى بين العراق والحجاز فان عبد الله بن المبارك بن واضح التاجر السفار [2] كان أحد من سافر الى مختلف الأقاليم بما روى عن الأوزاعى وغيره فى أثناء الحج والتجارة والجهاد . وكان أحد من دون فيما دون من الغزو والزهد والرقائق عن الأوزاعى [3] .

وقد روى من أهل البصرة عن الأوزاعى روح بن عبادة القيسى الحافظ . حدث ببغداد . ومات بعد الأوزاعى بما يقرب من خمسين عاما [4] فاذا كان قد حدث فى هذه الخمسين وما قبلها بما سمع عن الأوزاعى فقد

---

(١) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٦٨ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٥ — وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣١٠ .
(٣) الرقائق : ما عذب لفظه من العظات والاقاصيص .
(٤) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٠١ — دول الاسلام ج ١ ص ٢٩ .

حدث وقتا طويلا يتسع لشيء كثير أو يؤكده مهما كان قليلا ، على أنه لابد متحدث لعدد لا يحصى كثرة من التلاميذ .

وفى بغداد أيضا حدث عن الأوزاعى الامام الحافظ سند العراق أبو الحسن الواسطى على بن عاصم أبو محمد ، مولى قريبة بنت أبى بكر الصديق . سكن بغداد وحدث بها [1] .

وكان أبو الحسن أصغر من الأوزاعى بنحو سبعة عشر عاما . وقد أشرنا اليه من قبل فى انفاقه المال الكثير فى طلب الحديث كوصية أبيه ، فقد دفع اليه أبوه مائة ألف درهم وقال له : اذهب فلا أرى لك وجها الا بمائة ألف حديث[2] . ولقد أفلح على بن عاصم أيما افلاح فى الجمع والتدريس حتى قالوا : انه اجتمع عنده من التلاميذ أكثر من ثلاثين ألفا . وأظن هذا الاحصاء لمن تعلموا منه مدة حياته ، فاذا كانوا اجتمعوا اليه مرة واحدة فقد تأخر الزمان بنا فى عصر تيسرت فيه كل الوسائل الى التعلم والوصول اليه !

ومن أهل الكوفة روى عنه حماد بن محمد الفزارى [3] وعيسى بن يونس المقرىء الزاهد . ولكن الذهبى يشير الى أن يونس خالف على الأوزاعى . وكان الوليد بن مسلم لايبالى من خالف على الأوزاعى ما خلا عيسى بن يونس[4] ومعنى هذا أن الكوفة أصابت الأوزاعى ببعض النقد فيما روى عنه ، ولعله كان فى مثل روايات عقبة بن علقمة التى لم يقبلها ابن عدى ، وفى مثل التزيد الذى تزيده عليه ابن علاثة من أهل حران .

وقد حدث عن الأوزاعى شيخ الجزيرة والرقة وفخر أهل الموصل المعافى بن عمران الحافظ القدوة أبو مسعود الأزدى الموصلى . صنف فى السنن والزهد والأدب والفتن [5] وغير ذلك . وكان ثقة خيرا صاحب سنة

---

(١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٦٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٨ ص ١٥٦ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٠ — تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٧٠ .

(٥) الفتن : الحروب التى وقعت بين فرق المسلمين .

ـــ أى لم يكن ممن رضى بالرأى — وكان من طبقة الأوزاعى والثـــورى وكان الثورى يسميه « الياقوتة » .

وفيما ورد فى تذكرة الحفاظ ما قيل من أن الأوزاعى اجتمع بالمعاف بن عمران وابن المبارك وموسى بن أعين فقال الأوزاعى : هؤلاء أئمة النـــاس ، ولكن لا أقدم على الموصلى — يعنى المعافى — أحدا [1] .

وروى عن الأوزاعى وكيـــع بن الجـــراح العراقى ، وكان فى زمـــانه كالأوزاعى فى زمانه بشـــهادة يحيى بن معين [2] وكلام ابن معين يشهد بأن الأوزاعى قدوة يضرب به المثل ويقاس عليه .

وحدث عنه محمد بن حرب وعبد الله بن موسى وضمرة بن ربيعة الكاتب والامام الخريبى وأبو المغيرة ومسلم بن الوليد . وهؤلاء من رجال الطبقتين السادسة والسابعة من رجال الحديث كما رتب أبو عبد الله الذهبى [3] .

وروى عن الأوزاعى الأئمة الأعلام : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى الذى قيل فيه : ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله ـــصلى الله عليه وسلم ـــ مثل ما رحلوا اليه . وروى عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل [4] وأبو عاصم النبيل [5] وغياث بن ابراهيم [6] ، ويزيد ابن السمط بن أبى السمط السمعانى [7] ومحمـــد بن مصعب بن صـــدقة القرقسائى — وان كان قد ضعفوه — [8] .

ولا يغيب أن مذهب الأوزاعى قد نشر ـــ لا محالة ـــ فى حـــران والجزيرة برواية « الباب التى » صهر الأوزاعى الذى أشرنا اليه فى أول الكتاب .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٧ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٠٧ – تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٦٦ .
(٣) انظر تراجم هؤلاء بتذكرة الحفاظ ج ١ وتاريخ بغداد ج ٨ .
(٤) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٥ .
(٥) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٥ .
(٦) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٢٣ .
(٧) معجم البلدان المجلد ٣ ص ٤٣٠ .
(٨) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .

بين المغرب وخراسان :

ليس فى الظن أن عقبة بن علقمة بن حديج الأفريقى الطرابلسى — الذى حدثت عنه فيما سبق من تلاميذ الأوزاعى — ليس فى الظن أنه سافر بعلم أستاذه الى طرابلس الغرب لأنه سكن الشام وعاش فى بيروت ، ولكن ذلك لا يمنع أنه كتب بعلم الأوزاعى ،وربما كتب به الى بلده فذاع بين أصحابه هناك .

أما علم الأوزاعى فقد سـار مشرقا مغربا فبلغ المغرب ثم عبـر الى الأندلس ، وبلغ الشرق حتى خراسان . وقد رواه عنه فى المغرب رباح بن يزيد اللخمى المغربى الزاهد [1] ثم حمـله الى المشرق عمـر بن هارون عالم خراسان . وكان ابن هارون الحافظ من أوعية العلم مكثرا — على ضعف — وكان يكتب . وقد قيل ان أمه كانت تعينه على الكتاب — أى أنها اما أن أعانته بمالها أو بمعرفتها للكتابة — .

فى الأندلس :

وهؤلاء التلاميذ الذين رووا عن الأوزاعى بالسماع منـه أو بالرواية عنه بسماع أو كتابة كان لهم فضل كبير فى نشر علم الأوزاعى وتدوينه فى الكتب وبثه فى المذاهب .

وقد كان الأوزاعى ثقة ورعا فأخذوا بقوله حتى لو أرسل الحديث من غير اسناد . ولم يختلف على الأوزاعى أو يتزيد عليه الا أفراد قليلون ، كما أن الذين رموا بالضعف من تلاميذه كانوا قليلين .

وقد تقلب هؤلاء التلاميذ فى كل البلاد ما بين الأندلس وخـراسان ، وسافر علمهم فى كل زمان حتى زماننا هذا وما يأتى بعده . وسافر معهم فى البلدان والأزمنة علم الأوزاعى متفرقا فى المذاهب والفتاوى .

---

(١) رياض النفوس ج ١ ص ٢١٠ .

ولكن علم الأوزاعى ومذهبه جملة كان قد حمل مع جند الشام المتمذهبين به الى سواحل أفريقية والأندلس ، حتى ان أهل الأندلس وفدوا على الأوزاعى يتعلمون منه فى بيروت .

وكان من أشهر من وفد عليه طالب اسمه « ساشاط بن سلمة » جاءه فتتلمذ عليه ثم حمل معه مذهب أستاذه الى هناك — وسوف نتحدث عنه عند الكلام على مذهب الأوزاعى — .

طريقة التعليم :

كان الأوزاعى من أكثر معلمى هذه الأمة نشاطا وتبليغا فى درسه ، فبينما كان القراء يكتفون بآية من القرآن فى الدرس الواحد [1] ولايتجاوزون الخمس أو العشر — وكذلك أهل الحديث — كان الأوزاعى اذا التزم ذلك فى تعليم القرآن اتباعا لما جرت عليه السنة لم يلتزمه فى الحديث اذا انتقل الى تدريسه والكلام فيه ، وربما حدث فى الدرس الواحد بثلاثين حديثا [2] .

وقد أخبر بذلك محمد بن مصعب بن صدقة القرقسائى قال : كنت آتى الأوزاعى فيحدث بثلاثين حديثا ، فاذا تفرق الناس عرضتها عليه فلا أخطىء فيها ، فيقول الأوزاعى : ما أتانا أحفظ منك !

ومع أنهم رموا محمد بن مصعب بالضعف فى روايته عن الأوزاعى فان حديثه هذا وخبره لا محل لضعفه اذ هو متفق مع ما روى فى ذلك من الأئمة جميعا ، وهو يوضح خلق الأوزاعى وهمته فى درسه واتساع ماعنده من الأحاديث ، كما أنه يوضح صفات بعض من كانوا يتلقون عنه ، ولن يتلقى فى درس واحد ثلاثين حديثا الا صنف من المتعلمين قد بلغ حدا كبيرا من الصبر والقدرة على التحصيل .

---

(1) لا يخفى أن ذلك كان فى الآيات الطوال وكان مصحوبا بتفهيم المعانى والاحكام .
(2) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .

ومن المستطاع أن يتصور أيضا أن الأحاديث التى كانوا يتلقونها عن الأوزاعى بهذا العدد فى الدرس الواحد لم تكن جديدة عليهم ، أو أن الأوزاعى لم يكن يوسع شرحها احتراسا من التوسع فى الرأى وحذرا من مزالقه ومحاولة لالتزام طريق أهل السنة التزاما دقيقا .

كما يحتمل أن لايكون هذا الخبر لكل درس ألقاه ، وانما يجوز أن يكون قد فعل ذلك فى بعض الدروس التى حضرها محمد بن مصعب فرواها فاتخذت قياسا لدروس الأوزاعى .

وكما يحتمل أن يكون الدرس الواحد قد امتد نهارا كاملا أو استكمله فى أيام أخر .

وقد بالغ الأوزاعى لتلاميذه فى كره الكسل وذم الكسالى الذين كان يضرب بهم الأمثال ليشحذ همم تلاميذه ويحثهم على العمل والجد ، هم ومن يسمع عظاته من الناس ، وقد روى الحسن بن عبد السلام المصرى المشهور بالجمل عن بشر بن بكر عن الأوزاعى فى أحد دروسه قال :

« كان قوم كسالى — ينامون تحت شجرة كمثرى — يقولون : ان سقط فى أفواهنا شىء أكلنا والا فلا ، فسقطت كمثراة الى جانب أحدهم ، فقال له الذى يليه : ضعها فى فمى ، قال : لو استطعت أن أضعها فى فمك وضعتها فى فمى » [1]

وليس يغيب عن البال فى هذا الحديث أمران : أولهما أن الأوزاعى مع علمه وزهده وافراطه فى العبادة والجد لم يدع روح المزاح الصادق الذى كان متصفا به قبل التعبد والتزهد .

والثانى أن الأوزاعى متأثر فى تصوراته وتصويراته ببيئة الشام ولا سيما لبنان ، فضرب المثل عن عفو من الخاطر بشجرة الكمثرى ، وهى تكثر هناك ، كما أن حبها قد يتساقط من نفسه لثقله — وستأتى شواهد أخرى لتأثره ببيئة لبنان — .

---

(١) معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٢٢ .

بل ان الأوزاعى أفتى أحيانا فى مسائل الدين متأثرا بهذه البيئة ، وقد نقل النووى فى شرح مسلم عن الأوزاعى وسفيان الثورى أن التيمم يجوز بكل ما على وجه الأرض حتى الثلج — ومعناه الثلج فى الحالة التى لايذوب فيها ولا يتحول الى ماء وقد غطى وجه الأرض فى مساحات واسعة وذلك حين يسقط فى البرد الشديد على قمم الجبال وسفوحها كما فى لبنان — وهو خلاف الشافعى وجمهور الفقهاء ، وبه قال الامام أحمد وابن المنذر وداود أنه لا يجوز التيمم الا بتراب ظاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين لأن الصعيد يصدق على التراب وعلى وجه الأرض وعلى الطريق [1]

وقد أباح الأوزاعى فى دروسه التحاسد والاحتيال فى طلب العلم للتنافس والتسابق ، وأيد اباحته لذلك برواية الزهرى الى أبى هريرة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال « لا حسد ولا ملق الا فى طلب العلم » [2] .

العلم والعلماء :

ولما كان الأوزاعى ممن يقدر العلم حق قدره فقد قرر ذلك فى رواية ضمرة بن ربيعة عنه اذ قال : الناس عندنا أهل العلم [3] وقد أثر ذلك فى تلاميذه وأصحابه فصاروا مثله .

وعن يزيد بن مذكور قال : رأيت الأوزاعى فى منامى فقلت : يا أباعمرو، دلنى على أمر أتقرب به الى الله تعالى . فقال لى : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلم . فقلت : من بعدها ؟ قال : درجة المحزونين [4] .

والعالم عند الأوزاعى له صفات : فهو من وقف على آثار السلف — وكانت فى لزوم الجماعة والمساجد والتلاوة والجهاد واتباع السنة —

---

(١) كفاية الأخيار ص ٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٧ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣٢ .

وأن يكون متفقها للعبادة لا للكسب والجاه . وأن يكون ورعا متبعا غير مبتدع — وليس الرأى عنده بعلم — وسنعرض له بعد — وهو مذهب ابن عباس والصحابة ومذهب عمر بن عبد العـزيز الذى نشأ الأوزاعى فى مدته وبيئته .

ويرى الأوزاعى مثل عمر أنه من خير الأمة والعلماء أن ينصرفوا الى العمل ويبتعدوا عن الجدل . والأوزاعى متأثر فى هذا الرأى بما حدث من تصدع صفوف الأمة بظهور الخوارج والقدرية وغيرهم وطول شغبهم فى العصر الأموى .

وفضل العلم والعلماء يروى فيه الأوزاعى الى أبى الدرداء قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ولفضل العالم على العابد كفضل القمـر ليلة البدر على سائر الكواكب » وقوله « ان العلماء ورثة الأنبياء » وقوله « ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » وقوله « انه ليستغفر للعـالم كل شىء حتى الحيتان فى جوف البحر »[1] .

وهذه الأقوال كلها فى العلم النافع ، أما العلم الضار فيراه الأوزاعى أشد من الكفر . وقد روى أبو عمر بن عبـد البر عن الأوزاعى أنه قال : شكت النواويس الى الله عز وجل ماتجد من ريح أجساد الكفار فأوحى الله تعالى اليها : بطون علماء السوء أسوأ مما أتتن فيه ![2] .

---

(١) اخلاق العلماء ص ١٢ ، ٢١ .

(٢) شرح الحكم ج ٢ ص ٥١ .

أدبه وعلمه

القول والـكتابة . الآثار والعظـات . الرســائل . الخطب . رواية الشعر . تحول كبير . درجة علمــــه . غرائب الأخبار. القرآن والحديث. علوم شتى.

القول والكتابة :

يراد بأدب الأوزاعى فى هذا الباب أدبه اللغوى لا أدب الخلق والسلوك، لأن هذا سنعرض له فى باب وحده . وانه لمن الطريف أن يساق الكلام عن أدب لغوى لفقيه فان ذلك لم تجر به العادة الا للذين تغلب عليهم صفة الأدب وصناعته . وقد استحق الأوزاعى أن يكون من هؤلاء فننصرف الى أدبه اللغوى ببعض التفصيل :

ومن الحق ان القارىء يلمس فى قول الأوزاعى وكتابته ذوقا رفيعا ودقة فى العبارة وتحريرا لها ، ولا سيما فى لغة الفتاوى لأنها تتناول أمورا من القوانين التى لا تحتمل تنقصا ولا تزيدا .

وللأوزاعى مواعظ فى كلمات موجزة وعبارات قصيرة تسير كالأمثال والآثار . ثم خطب قصيرة وطويلة حسب الحال التى تدعو اليها ، وكان فى خطبه فصيحا لم يلحق قط — وهذا فى القول — أما فى الكتابة فله رسائل كذلك قصيرة وطويلة حسبما كانت تستدعى الأحوال .

ومواعظه الموجزة كانت كلمات الى أصدقائه أو سائليه من العلماء ، — وحسبهم الموجز — وفيها تبدو دقة المعانى وقوة الألفاظ وحسن الاختيار وكذلك تبدو هذه الصفات فى رسائله قصيرها وطويلها .

أما الخطب فما أثر منها عنه يتفاوت لفظه وتتكرر معانيه ، وربما لم تتسق جمله ولم تسر فى نمط واحد من القول ، فأحيانا تطول وأحيانا تقصر . وحينا يبدو كأنه يعالج ببديهته نظم الكلام ، وأحيانا يتدفق ويواتيه البيان . وهذا حال الخطيب المرتجل مهما كان شأنه من البلاغة والمقدرة على القول .

وكان الأوزاعى يعجب بالكلام الحسن البليغ ويصغى له ويثنى عليه ، وقد حدث عمرو بن هاشم البيروتى قال :

تحدثنا بباب الأوزاعى وفينا أعرابى من بنى عليم بن ضباب لا يتكلم ، فقيل له : بحق ما سميتم خرس العرب ، ألا تتحدث مع القوم ؟ فقال : ان الحظ للمرء فى أذنه ، وان الحظ فى لسانه لغيره ، وانما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه .

قال عمرو بن هشام : فحدثنا الأوزاعى فقال : والله لقد حدثكم فأحسن [1] .

الآثار والعظات :

فأما كلماته التى هى كالأمثال والآثار فمثل قوله :

ما ابتدع رجل بدعة الا سلب ورعه .

وقوله : من أخذ بنوادر العلماء خرج من الاسلام .

وقوله : ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات .

وقوله : لا تنظر الى صغر المعصية ولكن انظر من عصيت [2] .

وأما عظاته فقد كانت صادقة بالغة التأثير يخلص فى سوقها ولا يريد عليها أجرا بل يسوقها لوجه الله تعالى . ولم يكن يعظ بما لا يعمل ، بل يعمل بما يعظ مع خشية لله فيما يقول ويعمل .

وقد روى الحافظ أبو نعيم أن الأوزاعى قال : بلغنى أنه ما وعظ رجل قوما عظة لا يريد بها وجه الله الا زلت عن القلوب كما يزل الماء عن الصفا [3] .

وربما ساق الأوزاعى عظته ونصيحته فى قصة قصيرة لتكون أوقع فى القلوب وألين فى الأسماع . وقد يحدث بها عن نفسه أو عن أحد أساتذته فيروع النفوس .

---

(1) ديوان المعانى ج ١ ص ١٤٩ — وفى نهاية الأرب بنو عليم بن جناب من كنانة .

(2) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٠ — محاسن المساعى ص ١٢٠ .

(3) يزل : يزول . والصفا : جمع صفاة وهى الحجر الصلب الاملس .

وكثيرا ما كان يحدث ويعظ بما أخذه من حسان بن عطية . وكان حسان من الطبقة الخامسة من التابعين . يكنى أبا بكر . وقد أسند حسان عن أنس وشداد بن أوس ، وأرسل عن ابن مسعود وأبى ذر وحذيفة بن اليمان . وكان الأوزاعى من أكثر الناس رواية عنه لحبه له وتأثره به . وقد قال فيه : ما رأيت أحدا أكثر عملا منه فى الخير . فكأن الأوزاعى قد اتخذه قدوة فى العمل والقول فأثر فى النفوس به . وقد رآه الأوزاعى متعبدا قواما قال فيه : كان حسان بن عطية ينتحى اذا صلى العصر فى ناحية من المسجد يذكر الله حتى تغيب الشمس .

وقد روى عنه قوله : من أطال قيام الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة . وقوله : يعذب الله الظالم بالظالم ثم يدخلهما النار جميعا . وقوله : ان العبد اذا عمل سيئة وقف الملك فلم يكتبها ثلاث ساعات ، فان لم يستغفر كتبت وان استغفر لم تكتب . وان الرجل اذا سافر يوم الجمعة — أى وترك صلاتها — دعى عليه أن لا يصاحب فى سفره وأن لا يعان فى حاجته [1] .

ومما وعظ الأوزاعى به ذات مرة عن النفخة الأولى قوله :

عن حسان بن عطية أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل حضره الموت فأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه ، فكانوا يأملون أن يدرك ابنه فيملكونه ويكون مكان أبيه ، فأتى عليه فقبض .

قال : فجزعوا عليه . فلما خرجوا بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم — عليه السلام — دنا من أمه فقال : أرأيت ان أنا أحييت لك ابنك — باذن الله — أتؤمنين بى وتتبعيننى ؟ قالت : نعم . فدعا الله تعالى فجعلت أكفانه تنحل عنه واستوى جالسا . فقالوا : هذا عمل ابن الساحرة ، وطلبوه حتى انتهى الى شعب النيرب [2] فاعتصم فيه بقلته على صخرة متعالية فى الربوة ، فأتاه ابليس — لعنه الله تعالى — فقال : جئتك وما أعتذر لك من شىء . هذا أنت لم تنافسهم فى دنياهم ولا بشبر من الأرض صنعوا بك ما صنعوا ،

---

(1) صفة الصفوة ج ٤ ص ١٩٦ .

(2) النيرب : مكانان فى دمشق وحلب ، والمراد هنا الذى فى دمشق .

فلو ألقيت نفسك من هذا المكان فتلقاك روح القدس فيذهب بك الى ربك فتستريح منهم !

فقال عيسى عليه السلام :

ياغوى ، الطويل الغواية . انى لم أجد فيما علمنى ربى — تبارك وتعالى — أن أجرب ربى حتى أعلم أراض عنى أم ساخط على .

قال : وزجره الله تعالى عنه . فأقبلت عليه أم الغلام فقالت : يا معشر بنى اسرائيل ، كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعا عليه ، فلما أحياه الله تعالى لكم أردتم قتله ! قالوا فما تأمرين به ؟ قالت : فأتوه فآمنوا به ، فأتوه فقالوا له : خصلة بيننا وبينك ، فان أنت قبلتها آمنا بك واتبعناك ، قال : وما هى؟ قالوا : تحيى لنا عزيرا . قال : دلونى على قبره ، فنزل عيسى معهم حتى انتهى الى قبره .

قال : فتوضأ وصلى ركعتين ودعا . قال : فجعل قبره ينفرج عنه التراب ، فخرج قد ابيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول : هذا فعلك ياابن مريم . قال : لم أصنع بك ، هذا فعل قومك ، زعموا أنهم لا يؤمنون بى ولا يتبعونى حتى أحييك لهم — باذن الله — وهذا فى هدى قومك يسير !

قال : فأقبل عزير عليهم يعظهم ويأمرهم بالايمان بعيسى واتباعه . قال: فقال له قومه : عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية ، فما لنصف رأسك قد ابيض ؟! قال : انى سمعت الصيحة فظننتها دعوة الداعى ، حتى أدركنى ملك فقال : انما هى دعوة ابن مريم ! فانتهى الشيب الى ماترون [1] .

* * *

هذه القصة الواعظة من رواية الأوزاعى عن حسان بن عطية ، وليس ما يمنع أن يكون الأوزاعى قد وضع بعض ألفاظها ، ولو أنه كل حين يعود على حسان بن عطية بقوله : قال .

(١) تاريخ مدينة دمشق القسم الاول من المجلدة الثانية ص ٩٦ .

ولعل الأوزاعى أو حسان بن عطية — وفى القصة ألفاظ لهما — قد قلدا ربيعة الرأى فيما كان يصنع ، وكان ربيعة يسمع الحديث عطلا فيشنفه ويقرطه فيحسن ، وما يزيد فيه شيئا ولا يغير المعنى [1]

والقصة بهذا اللفظ والترتيب ، والتركيز على الجزء الأهم فى نهايتها يدل على اعمال الفكرة وعرض ما يكون من حال الرسول بين قومه المعاندين المنكرين — وليس كبنى اسرائيل فى العناد والانكار — ونفث الشيطان فى أمنيته بتعنتهم فى اتباعه [2] ثم هى تحكى أخيرا هول البعث وتصف روعة القيامة حتى على الأولياء فما بالها بسواد الناس !

وهذه الصورة التى تألفت عليها القصة هكذا قد بعثها عقل الأوزاعى أو حسان بن عطية أو هما معا من ثابت ما رسخ فيهما مما سمعا وتعلما ، حتى أصبح له فى نفسيهما مذاق حاضر ينقلانه الى ذوق الناس متى شاءا ، وكأنه تحت تصرفهما ، وهو وان لم يكن قد حدث كله فى وقت واحد فقد أحيا عقلهما وأدبهما أشياء أدركتها حواسهما وتخيلهما فصورا صورا وأفكارا بديعة بتكييف الصور والأفكار القديمة ومزجها . وهكذا أفلح الواعظان .

. ثم انظر الى أدب العبارة فى قوله : فجعلت أكفانه تتحلل — فاعتصم منها بقلته على صخرة متعالية فى الربوة — هذا أنت لم تنافسهم فى دنياهم — يا غوى ، الطويل الغواية — وهذا فى هدى قومك يسير — انى سمعت الصيحة فظننتها دعوة الداعى .

انظر الى هذه كلها فانها تعبيرات سامية البلاغة مع سهولتها ، على أن ما فيها من الايجاز والاشارات يدل على أن الأوزاعى يحدث بها قوما عارفين .

ولقد كانت عظته هذه من قصصه المكتوب الذى أرسل عنه فى أجواز الزمان — على الأرجح — حتى رواه ابن عساكر قراءة وأورده فى فضل

---

(1) العقد الفريد ج ٦ ص ١٠٨ — وليس المراد بتحلية ربيعة للحديث حديث النبى وانما هو حديث الناس .

(2) هذا هو المعنى الصحيح لالقاء الشيطان فى أمنية النبى وهو يكونه بالقاء الشك فى روع الناس اما الوحى فلا .

دمشق وربوتها — التى يدعى ابن عساكر الحافظ أنها الربوة المشار اليها فى القرآن .

ولم تكن عظات الأوزاعى مقصورة على سامعيه من العلماء وجمهور الناس ، ولكنه طالما وعظ الأمراء والخلفاء ولا سيما أبا جعفر المنصور بعد أن اتصلت المودة بينهما — وسيأتى تفصيل ذلك بعد — .

وقد قال صاحب تذكرة الحفاظ : كان المنصور يعظم الأوزاعى ويصغى الى وعظه ويجله ، ولقد قال له اثر نصيحة منه له فى مجلسه : لا تخلنى من مطالعتك اياى بمثل هذا فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة . قال الأوزاعى: أفعل ان شاء الله تعالى [1] .

وقد حدث أبو حفص عمرو بن سلمة عن الأوزاعى أنه قال : من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير . ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه [2] .

ومن عظاته القصيرة ما حدث به العباس بن الوليد قال : أخبرنى أبى قال : سمعت الأوزاعى يقول : ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وهى معروضة على العبد يوما فيوما وساعة فساعة . ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها الا تقطعت نفسه عليها حسرات ، فكيف اذا مرت ساعة ويوم بوم ؟! [3] .

الرسائل :

ولم يتخذ الأوزاعى فى أداء علمه للناس آلة اللسان وحدها كأكثر علماء زمانه ، ولكنه اتخذ آلة الكتابة واصطنع الكتاب الذين يملى عليهم . وكان هو بارعا فى الكتابة والرسائل [4] واملائها حتى أعجب الخلفاء وأفحم الكتاب :

---

(١) محاسن المساعى ص ٩١ ، ١٣٥ .
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .
(٣) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ — صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ .
(٤) محاسن المساعى ص ٣٥ .

قال المنصور ذات يوم لكاتبه سليمان بن مخلد : ينبغى أن تجيب عن كتبه — أى كتب الأوزاعى ورسائله — فقال : والله يا أمير المؤمنين لايقدر أحد من أهل الأرض على ذلك . وانا لنستعين بكلامه فنكاتب به الآفاق الى من لا يعرف أنه كلام الأوزاعى [1] .

وقد وصف أبو زرعة الدمشقى رسائل الأوزاعى قائلا : كانت صنعته الكتابة والترسل ، فرسائله تؤثر [2] .

ومما كتب الأوزاعى الى أخ له يعظه قال :

أما بعد ، فانه قد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك فى كل يوم وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهد بك . والسلام [3] .

وكتب اليه الخليفة المنصور يقول :

أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبله فى عنقى فاكتب الى بما رأيت فيه المصلحة .

فكتب الأوزاعى اليه :

أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضع يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق . واعلم أن قرابتك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لن تزيد حق الله الا وجوبا [4] .

وهذه الوصية من الأوزاعى انما هى فتوى للذين يظنون أنهم ناجون — بسبب آبائهم — من العقاب ان كان آباؤهم مؤمنين ، وأنجى اذا كان آباؤهم أنبياء أو أولياء ، فهم كما قال الغزالى — من بعد — : بمنزلة من يتعاطى السموم اتكالا على طب أبيه [5] .

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٨ — محاسن المساعى ص ٨٤ .

(٤) محاسن المساعى ص ١٢٠ .

(٥) هامش عمدة البيان ص ٧٥ .

وقد حدث أنه لما خرج ابراهيم الامام وأخوه محمد على المنصور أن أراد المنصور أهل الثغور أن يعينوه عليهما فأبوا ذلك . فوقع فى يد ملك الروم ألوف من المسلمين أسرى ، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم ، وأبو جعفر يأبى أو يتردد فى فدائهم بخلا بالمال كعادته التى سمى بسببها « بالدوانيقى » فكتب اليه الأوزاعى كتابا يعظه فيه بالاسراع الى مفاداة أسرى المسلمين قال فيه :

أما بعد ، فان الله تعالى استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما، وبنبيه — صلى الله عليه وسلم — فى خفض الجناح والرأفة متشبها . وأسأل الله تعالى أن يمكن لأمير المؤمنين ويرزقه رحمة هذه الأمة . فان سائخة [1] المسلمين التى غلبت عام أول وموطئهم [2] حريم المسلمين واستنزالهم العواتق والذرارى من المعاقل والحصون كان ذلك بذنوب العباد . وما عفا الله عنه أكثر .

فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذرارى من المعاقل والحصون ، لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا . كاشفات عن رءوسهن وأقدامهن . وكان ذلك بمرأى ومسمع . وحيث ينظر الله تعالى الى مانزل بهم فليتق الله أمير المؤمنين ، وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا ، وليخرج من حجة الله فان الله تعالى قال لنبيه « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

ووالله يا أمير المؤمنين مالهم يومئذ فىء موقوف ولا ذمة تؤدى خراجا الا خاصة أموالهم . وقد بلغنى عن رسول الله أنه قال « انى لأسمع بكاء الصبى فى الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمة » فكيف بتخليتهم ياأمير المؤمنين فى أيدى العدو يمتهنونهم ويتكشفون منهم مالا تستحله الشريعة ، وأنت راعى الله والله تعالى فوقك ومستوف منك ،« يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

---

(١) السائخة : القوة .

(٢) الضمير فى موطئهم يرجع الى الروم .

فلما بلغت هذه الرسالة أبا جعفر استجاب من فوره للأوزاعى وافتدى الأسرى [1] .

وروى الحافظ أبو نعيم أن الأوزاعى كتب الى الحكم بن غيلان القيسى يقول : قد أجبت — رحمك الله وايانا — أن يقفك على ما علمت من المراء [2] وان كان على ما تعلم فيه ، وأن تجعل لمعادك فى طرفى نهارك نصيبا ، ولا يستفزنك ايثار غيره . ودع امتحان من اتهمت ، وضع أمره على ما ظهر لك منه ، فان ستر عنك خلافه فاحمد الله على عافيته ، وان عرض لك ببدعة فأعرض عن بدعته . ودع من الجدل ما يغير القلب ويزيد الضغينة ويرق الورع . ولا تكن ممن يمتحن من لقى بأوابد [3] وما عسى أن يفترى به أحد . وليكن ما كان منك على سكينة وتواضع تريد به الله تعالى . وليعنك ما عنى الصالحين قبلك فانه قد أعظمهم ثقل الساعة ، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم ، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم . عناؤهم على أنفسهم ، وراحتهم على الناس .

نسأل الله أن يرزقنا واياك علما نافعا وخشوعا يؤمننا به من الفزع الأكبر . انه أرحم الراحمين . والسلام عليك [4] .

وهذه الرسالة البليغة قد بلغ فيها الأوزاعى الغاية فى وصف المراء وعلاجه . وفيها غاية ما يمكن أن يوصى فيه بأدب الجدال . ومن حقها أن تكون دستورا للمتخاصمين على الحق ، وعظة للمختلفين على الصدق . أما من عدا هؤلاء ممن يريدون الغلبة لأنفسهم بالحق وبالباطل فقد أنذرهم الأوزاعى بالعذاب وثقل الحساب بسبب ما ألقوا من العناء على أنفسهم ومن الكبر على قلوبهم .

---

(١) محاسن المساعى ص ١٢١ — لبنان فى التاريخ ص ٣٢٨ .

(٢) المراء : الجدال لذاته أريد به الحق أو الباطل ، ويكون بالطعن فى الخصم تزييفا لقوله وتصغيرا للقائل . ولا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا .

(٣) الأوابد : الغرائب . ويريد الأوزاعى أن لا يثقل المرء على من يستفتيه بالغرائب والمشكلات .

(٤) محاسن المساعى ص ١٣٦ .

وبالرسالة أدب الرجل الكريم لا يستوعب مزالق خصمه ولا يكشف ما ستره الله عنه ، وانما يكتفى بما ظهر ويرحمه عليه ويغفره له مادام الله قد ستر عنه ما ستر وأبعد عن عينيه ما أخفى .

وقد اتخذ الأوزاعى له فى رسائله تقليدا كريما ، وذلك أنه يبدأ الكتاب بذكر من يكتب اليه اذا رأى فيه فضلا : قال عطاء الخفاف : كنت عند الأوزاعى فأراد أن يكتب الى أبى اسحق الفزارى فقال للكاتب : اكتب اليه فابدأ به فانه والله خير منى . وكان كلاهما من معين واحد .

الخطب :

وكان الأوزاعى خطيبا يرج الأفئدة والقلوب . وقد قال العباس بن الوليد العذرى قاضى بيروت وهو يروى عن أبيه الوليد بن مزيد العذرى الذى كان من كتاب الأوزاعى وأصحابه قال :

كان الأوزاعى اذا وعظ الناس لم يقطع القول ولم يدع أحدا يسأله عن شىء حتى يسكت . فأقول بينى وبين نفسى : ترى هل بقى فى المسجد أحد لم يتقطع قلبه حسرات ؟!

ومن خطبه برواية الهقل بن زياد كاتبه وفقيه الشام من بعده :

أيها الناس ، تقووا بهذه النعم التى أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، فانكم فى دار الثواء فيها قليل ، وأنتم مؤجلون .

خلائف بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعمارا وأمد أجساما وأعظم آثارا وأكثر أموالا وأولادا . فخددوا الجبال وجابوا الصخر بالواد [1] ، وتنقلوا فى البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام شداد ، فما لبثت الأيام والليالى أن طوت مددهم ومحت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكرهم . فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

(١) وهذا تأثر ببيئة لبنان .

كانوا يلهون بالأمل آمنين ، وعن البيات غافلين ، فآبوا اياب قوم نادمين .

انكم علمتم الذى نزل بساحتهم ، بياتا من عقوبة الله عز وجل ، فأصبح كثير منهم فى ديارهم جاثمين . وأصبح الباقون ينظرون فى الآثار نقمة وزوال نعمة ومساكن خالية ، كانت بالعز محفوفة وبالنعم معروفة ، والقلوب اليها مصروفة والأعين اليها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى .

وأصبحتم من بعدهم فى أجل منقوص ودنيا منقوضة ، فى زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه وصفوه . فلم يبق الاحمة شر،وصبابةكدر،وأهاويل عبر ، وعقوبات وغير ، وأرسال فتن وتتابع زلازل ، ورذالة خلف : بهم ظهر الفساد فى البر والبحر ، يضيقون الديار ويغلون الأسعار بما يرتكبون من العار . فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل وغره الأجل ولعبت به الأمانى .

نسأل الله أن يجعلنا واياكم ممن اذا دعى بادر واذا نهى انتهى ، وعقل سراه فمهد لنفسه ووطأ لجنبه [1] .

رواية الشعر :

وقليلا ما روى الأوزاعى الشعر ، أو قليلا ما جاءت الأخبار بروايته له . ولم يعرف أنه قال شيئا منه ككثير من الأئمة الذين قالوه ولم يمنعهم عن قوله فقه ولا تصوف .

وقد قالوا انه كثيرا ما كان يتمثل بهذه الأبيات :

المال ينفد حله وحرامه يوما وتبقى بعده آثامه
ليس التقى بمتق لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجنى ويكسب أهله ويطيب من لفظ الحديث كلامه
نطق النبى لنا به عن ربه فعلى النبى صلاته وسلامه [2]

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢٩ ـ محاسن المساعى ص ٨٩ . والخطبة ملخصة من المرجعين .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٤٤ .

وقالوا انه روى شعرا لعمر بن عبد العزيز ، ورواه عن محمد بن كعب القرظى الفقيه صاحب عمر فى المدينة والشام . وهو قول عمر :

أيقظان أنت اليـوم أم أنت حالم ... وكيف يطيق النـوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغـداة لحـرقت ... جفونا لعينيك الدمـوع السواجم
نهارك يا مغـرور سـهو وغفـلة ... وليـلك نـوم والـردى لك لازم
وتشغل فيمـا سوف تدرك غبـه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهـائم [1]

تحول كبير :

ان أئمة الفتوى : مالك والثـورى والأوزاعى والشـافعى والنعمان وأحمد وغيرهم لم يبلغوا مكان الامامة الا بما حصلوا من علوم وقدرواعلى استنباط . وليس فى الامكان احصاء الأجزاء التى أحصاها علم كل منهم . وحسب الأوزاعى من بينهم أن يقال فيه انه أفتى فى سبعين ألف مسـألة . ولن يسع من يسمع هذا القول الا أن يكون بين أحد أمرين :
أن يكف عن البحث وطول السفر ويرضى بالقليل . أو أن يقضى حيـاته كلها باحثا مهاجرا حتى يجمع هذه الألوف التى أفتى فيها الأوزاعى ، وهو مالا سبيل اليه .

ولقد عاش الأوزاعى وعلم الصحابة والتابعين فى الصـدور . وكانت الصدور خزائن علومهم . وفى حياته تحولت دولة الاسلام من بنى أمية الى بنى العباس فجرت بذلك التحول سـيول من الدمار وذهبت تحت السيف عوالم لا يحصيهم الا الله ، بخراسان والعراق والجزيرة .

ثم ظهر فى هذا العصر فقهاء الرأى والقياس كأبى حنيفة وأصـحابه ، ودعاة الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد اللذين دعوا النـاس الى ما خاضوا فيه ، فتكلموا فى القدر والاعتزال .

---

(1) العمدة ج ١ ص ٣٧ .

وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا الى التعطيل [1] وقال بخلق القرآن [2] . كما ظهر فى مقابل هؤلاء المجسمة [3] ومنهم مقاتل بن سليمان [4] .

ولا ضرورة لأن يقال ان الهذر قد صارت له سوق أيضا ، وكان فى مقدمة رجاله أشعب [5] .

وفى مقابل هذه الدعوات والفتن كلها قام علماء التابعين من أهل السنة ومنهم الأوزاعى فحذروا من البدع . ثم شرع الكبار فى تدوين السنن وتأليف الفروع [6] فحدث من اصطدام هؤلاء بأولئك أن توسط الناس بين الآراء ، فأخذت الأمة تتجه الى الأخذ بالقديم والحديث وخلط المسموع بالرأى والقياس ، وهو أثر ضرورى حتم لهذا الاختلاف والتلاقى فى الآراء والأخبار .

ولا يعنى هذا الكلام أن السلف قد ضعفوا عن الرأى والاستنباط ، بل انهم لم يضعفوا ، وظهرت لهم مسائل كالخوارق ، غير أنهم لم يخرجوا فى استنباطهم عن دائرة النصوص ، وهى مصدر قوتهم ومدار براهينهم .

وكان الولاة والناس كلما جدوا فى طلب الدنيا جد الفقهاء فى الاقبال على دراسة الدين والتعلق بالعمل والزهد حتى صار فى البلاد الاسلامية جميعها سهولها وجبالها نثار عجيب من العلماء والعباد والزهاد لا تغرب الشمس عنهم .

وبينما كانت الممالك والولايات تزول كان الفقهاء والعلماء يبنون ويخلدون ويكثرون ولا يستطاع عدهم كثرة فى البلاد وتفشيا ، ومن الحق ان كثيرا من الخلفاء والولاة فى الأموية والعباسية مدوا أيديهم الى العلم

---

(١) الذين قالوا بالاجبار والاضطرار الى الاعمال وانكروا الاستطاعات كلها ـ الفرق بين الفرق ص ١٩٩ وهم أتباع الجهم بن صفوان أخذ عن الجعد بن درهم .

(٢) القول بخلق القرآن أحدث فتنة عظيمة فى العباسية هلك فيها قوم كثيرون .

(٣) المجسمة : الذين دعوا الى تجسيم المعبود وأن له حدا ونهاية ـ الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ .

(٤) مقاتل بن سليمان : بلخى وهو رأس فى التجسيم .

(٥) اشعب المضروب به المثل فى الطمع فقيل أطمع من اشعب .

(٦) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٨ .

وأهله بالمعونة والتشجيع بلا مثيل له . وقد صار لكل بلد أو مكان علم أو أعلام من أولئك الفقهاء ، ولم ينس التاريخ المنصف أن يذكر أسماءهم ويشيد بفضائلهم .

درجة علمه :

لقد امتد عمر الأوزاعى من أواخر القرن الهجرى الأول الى أواسط القرن الثانى ، فكان من تابعى التابعين الذين أخبر عنهم النبى ببقاء الصدق فيهم ، أما بعدهم فان الكذب يفشو .

وكان الأوزاعى أحد الذين حققوا نبوءة النبى الصادق ، فصدق القول وصدق العزم ، ولم يلبث أن كان رأسا فى العبادة والعلم وبلغ مكانا فى الأمة يقولون انه كان فوق مكان الأمراء . ولقد هدده بعض الولاة مرة فنهاه أصحابه عنه لمكانه بين الناس [1] .

واستوى الأوزاعى يتعهد نفسه بالجد وطرح الكسل فقيها كبيرا ، وقد أفتى وهو فى الخامسة والعشرين ، فلما بلغ مبلغا فى السن وصارت سنة مائة وأربعين صار امام أهل الشام وفقيه الأمة كافة . وقد قال اسماعيل بن عياش : سمعتهم يقولون سنة أربعين ومائة : الأوزاعى اليوم عالم الأمة [2] .

ولقد وفدت اليه الأسئلة من كل مكان تستفتيه فأفتى — كما يقول الهقل بن زياد — فى سبعين ألف مسألة بين القرآن والحديث والأخبار والمغازى والتأويل . وقال أبو زرعة الدمشقى حافظ زمانه : روى عنه ستون ألف مسألة . ولم يقل غيرهما بأقل من ذلك ، فدل كلامهما على العلم الغزير والرأى المقبول اذ لا يحصى هذا العدد ويقر بأنه فتاوى الا لامام عظيم ولاسيما فى مثل زمانه الحافل بالعظماء والأعلام .

وقد أفتى الأوزاعى فى الخامسة والعشرين ثم ظل يفتى الى السبعين من عمره وعقله ذاك [3] . وقد تواترت الأخبار وكثرت فى أنه كان أفضل أهل الشام

---

(١) محاسن المساعى ص ٨٩ .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .
(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣١٠ — محاسن المساعى ص ٦٦ — دول الاسلام ج ١ ص ٨١ .

فى زمانه ، وممن شهد بذلك له الأئمة عبد الرحمن بن مهدى والامام الخريبى وأبو اسحق الفزارى ثم أقره أحمد بن حنبل وأئمة آخرون [1] .

قال عبد الرحمن بن مهدى : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : الثورى ومالك والأوزاعى وحماد بن زيد [2] . وفيما نسب الى ابن مهدى قوله : كان الأوزاعى والفزارى امامين فى السنة ، اذا رأيت الشامى يذكر الأوزاعى والفزارى فاطمئن اليه ، كان هؤلاء الأئمة فى السنة [3] .

ولقد صار يقال : اذا اجتمع الثورى ومالك والأوزاعى على أمر فهو سنة وان لم يكن فيه نص [4] . وهذا رأى فى الاجماع الذى لا يكون الا باجماع الأئمة . ولعل هذا القول يرجع الى أن ثلاثتهم يرون عمل أهل المدينة هو السنة فيجعلونه حجة . وقد جرى اتفاقهم على هذا فى مسائل كثيرة .

ومن أمثلة المسائل التى اجتمعوا عليها : الاسرار بقراءة البسملة فى الصلاة . وكانت حجتهم أنه عمل أهل المدينة ، وأن الخلفاء الأربعة أسروها فى صلواتهم [5] ، فكانوا يؤمون بالصلاة من غير أن يعلنوها .

ثم لعلهم يمثلون علماء الأمة فى أقطارها الكبرى حين ذاك ، فقد مثلوا الحجاز والشام والعراق ، فكان بذلك الاجماع .

وقد فصل على بن المدينى رأيه فى علماء عصره دائرا ببصره وراء علماء البصرة والكوفة والحجاز والشام ، ثم انتهى الى أن علم هذه البلدان قد انتهى فى الشام الى الأوزاعى [6] .

وقال ابن سعد فى الطبقات : كان الأوزاعى ثقة مأمونا صدوقا فاضلا خيرا كثير الحديث والعلم والفقه حجة [7] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ ، ٢٢٨ - تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) معجم الادباء ج ١ ص ٢١٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٩ .

(٥) حاشية الصاوى على الجلالين ج ١ ص ٥ .

(٦) وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٩٠ .

(٧) الطبقات ج ٧ ص ٤٨٨ .

وقال أبو حفص عمرو بن على : حديث الشاميين كلهم ضعيف الا نفرا منهم الأوزاعى [1] .

ولقد أخذ الأوزاعى نفسه بالتعهد والتربية والرعاية حتى لم يكن من أبناء العلية والخلفاء أعقل منه ولا أعلم ولا أفصح ولا أهدى ولا أوقر ولاأعلم ولا أكثر صمتا . وما تكلم بكلمة الا كان على من يسمعها من جلسائه أن يكتبها لحسنها [2] .

وقد قال أبو اسحق الفزارى : لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعى — أى خليفة واماما — وقد وافق صاحب تذكرة الحفاظ على هذا الرأى حينما درس — من بعد — حياة الأوزاعى وعرف صفاته فقال : كان يصلح للخلافة [3] .

وقال الوليد بن مزيد : عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدبه فى نفسه [4] . وقال ابنه العباس بن الوليد : ما رأيت أبى يتعجب من شىء رآه فى الدنيا تعجبه من الأوزاعى : كان يقول : سبحان الله ، يفعل ما يشاء . ثم قص قصة الأوزاعى منذ كان يتيما فقيرا [5] .

غرائب الأخبار :

ولأمر ما كان الأوزاعى يحب غرائب الأخبار ويولع بها متى كانت تفيد عظة أو تكسب علما . ولذا فقد أغرق مالكا حين جلس اليه فى مكة بالمغازى . والحق ان الباحث وراء المغازى وأخبار الأمم يجد للأوزاعى فى ذلك مجالا واسعا . الا أن هذه الغرائب غير الأغلوطات التى كرهها والمسائل المعقدة المتكلفة ونوادر العلماء .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٧٧ .
(٢) محاسن المساعى ص ٤٩ .
(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .
(٤) محاسن المساعى ص ٥١ .
(٥) المرجع نفسه والصفحة .

والأوزاعى هو الذى روى عن سعيد بن المسيب صفة لقمان الحكيم : وأنه كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر [1] . ولكن ذلك الخبر يتصل بتسلية سعيد بن المسيب لرجل أسود جاءه حزينا لسواده فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من خير النـــاس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر ، ولقمان الحكيم .

وروى القرطبى أن الأوزاعى قال : قال موسى : يارب ، من فى السماء ؟ قال : ملائكتى . قال : كم عدتهم يارب ؟ قال : اثنى عشر سبطا . قال : كم عدة كل سبط ؟ قال : عدد التراب [2] .

ومع ولع الأوزاعى بغرائب الأخبار فقد كان يكره الأغلوطات كما يكره صعاب المسائل . وكان يؤيد كرهه لها بما يرويه عن نهى رسول الله عنها . ولم تكن الأغلوطات وصعاب المسائل الا مما يتكلف السائلون ويعقدون ، وربما كانت تخيلات وحســابات لا تقع بينهم الا فى أندر من النادر أو لا تقع أبدا [3] .

وقد روى الأوزاعى الى معاوية بن أبى سفيان أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نهى عن الأغلوطات . وقد فسرها الأوزاعى بأنهــا صعاب المسائل . ولكن الزمخشرى أوضحها فى « الأساس » بأنها التى يغالط بها — أى لا تكون مسائل صحيحة وانما يوهم بها السائل أنها صحيحة وقد يكون ذلك بكنايات غير مفهومة — وكان ابن سيرين اذا سئل عن مســألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك ابليس [4] .

القرآن والحديث :

كان الأوزاعى أحد النقلة للقراءة ومواضع النزول والأداء ، لا يجاوز ما سمعه ولا كيفية أدائه . وقد روى عن عبد الله بن سلام أنه قال : قعدنا

---

(١) قصص الانبياء ص ٤٦٨ .

(٢) الجامع للقرطبى ج ١٩ ص ٨١ .

(٣) العقد الفريد ج ٦ ص ٣٨ — عيون الاخبار ج ٢ ص ١١٧ .

(٤) عيون الأخبار ج ٢ ص ١١٧ .

نفرا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتذاكرنا ، فقلت : لو نعلم أى الأعمال أحب الى الله لعملنا ، فأنزل الله « سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم » و « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » حتى ختمها . قالوا : فقرأها علينا عبد الله بن سلام فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا يحيى بن أبى كثير فقرأها علينا الأوزاعى ، وهكذا حتى قال الذهبى : فقرأها علينا شيوخنا [1] .

وقد اهتم الأوزاعى بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحثه على تبليغ القرآن . وفيما روى عن حسان بن عطية الى عبد الله بن عمرو بن العاص قوله — عليه الصلاة والسلام — : « بلغوا عنى ولو آية » [2] .

وكان الأوزاعى من الأئمة الذين وعوا القرآن والحديث واستحضروا الأدلة والحجج منهما فلم يعوزهم رأى ولا احتيال ، وهو فى ذلك أستاذ الشافعى وأحمد ومن سار بعد فى طريقهما .

والحق ان من استحضر القرآن والحديث لم يعز عليه الاستدلال منهما على كل قضية والاحتجاج بهما فيما يراد ، ولكن غيابهما عن الاستحضار فى الصدور هو الذى يدفع بالمرء الى الاجتهاد برأيه ، فاما قرب منهما واما بعد ، ولو كانا حاضرين فى صدره ما احتاج الى غيرهما .

والأوزاعى من رجال الحديث حفظا وكتابة ورواية وتأويلا . وقد ذكر فى طبقات الحفاظ والكتاب ، وروى عن جماعة وروت عنه جماعة . وهو يرى الاحتجاج بالحديث ويتوقف عند الشبهة ويعادى أهل الرأى ويصول على أهل القدر . وقد أسند الأوزاعى عن محمد بن على الباقر ويحيى بن أبى كثير والزهرى ومحمد بن المنكدر وغيرهم [3] .

وهو أحد الذين وثقوا رجال الحديث وشهدوا للصلحاء والزهاد . ويقولون ان توثيقه للرجال كان أثبت من توثيق الثورى ، لأن الثورى كان

---

(١) أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٥٧ .
(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٢ .

يأخذ برأى من ضعفوا وخلطوا [1] — أى فى حال كبرهم وضعف أذهانهم من علو السن — أما الأوزاعى فكان لا يأخذ به .

ويقولون فى ذلك : تناظر الأوزاعى والثورى فى مسجد الخيف بمنى فى مسألة رفع اليدين فى الركوع والرفع منه ، فاحتج الأوزاعى على الرفع بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيــه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يرفع يديه اذا افتتح — يعنى الصلاة — ثم لا يعود .

فغضب الأوزاعى وقال : تعارض حديث الزهرى بحديث زياد بن أبى زياد وهو رجل ضعيف ؟ فاحمار وجه الثورى . فقال الأوزاعى : لعلك كرهت ما قلت ؟ فسكت الثورى متبسما .

وما من شك فى أن الثورى رضى برأى الأوزاعى وحجته ورجحه على رأيه لأن يزيد بن أبى زياد كان قد ساء حفظه فى آخر عمره وخلط [2] .

وكان ممن وثقهم الأوزاعى وشهد بفضلهم وسبقهم : ابن عون وسفيان الثورى والزبيدى . فقال فى ابن عون وسفيان : اذا مات ابن عون وسفيان استوى الناس . وقال فى الزبيدى الحافظ صاحب الزهرى : ما أحد أثبت فى الزهرى من الزبيدى [3] .

هذا ، وكل من تعرض للحديث قد بحث عن تأويل غوامضه — وهى احدى مشاق الحديث — وكان الأوزاعى أحد هؤلاء ، فقد بحث عن التأويل وسأل أصحابه — ممن يثق فيهم — عما أراد .

جاء فى أمالى المرتضى أن الوليد بن يزيد كان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم فى اطراح الدين أحدا ولا مراقب فيه بشرا . وفى الحديث أنه ولد لأخى أم سلمة زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — غلام فسموه الوليد فكره النبى — صلى الله عليه وسلم — هذا الاسم وأنذر الأمة بأن رجلا فيها يقال له الوليد سيكون شرا عليهـــا من فرعون على قومه . قال

---

(١) وهذا لا يرضى رواة الحديث الأخذ به بعد أن يخلط المحدثون لعلو أسنانهم .
(٢) محاسن المساعى ص ٦٢ ، ٦٦ .
(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣ .

الأوزاعى : فسألت الزهرى عنه فقال : ان استخلف الوليد بن يزيد والا هو الوليد بن عبد الملك [1] .

علوم شتى :

وفى غير القرآن والحديث برع الأوزاعى فكان حجة فى السير ودقائقها وفى المغازى وفتوح البلدان صلحا وجزية وخراجا . وكان لابد لفقيه مثله — ولكل فقيه — من ذلك لأن الأحكام الشرعية مترتبة على هذه الكيفيات . وقد زاد الأوزاعى فبحث عن الأخبار حتى اذا لم تترتب عليها أحكام . ومن ذلك ما دق من تحقيقاته فى البحث عن مكان رأس يحيى بن زكريا ، فلما سئل عنه أجاب : بلغنا أنه فى العمود الرابع المسفط — أى من المسجد الأموى بدمشق — .

وقد تتبع الأوزاعى السيرة الشريفة من وجوب النبوة الى لحاق رسول الله بالرفيق الأعلى جزءا جزءا وصفة صفة ، ولا تكاد تعد مفردات أخباره فى ذلك . ومما روى عنه قوله الى أبى هريرة أن رسول الله سئل : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال « من خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ومما رواه من هذا الطريق نفسه قول رسول الله « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

وقد دل الأوزاعى بما روى من الأخبار على أنه كان حجة فى الدقائق . على أنه ساد الشام وسائر البلدان فى الفقه وغيره من علوم الاسلام .

وقالوا ان الأوزاعى كان يؤول الرؤى والأحلام ويراها ويؤولها . ومهما قيل فى هذا التأويل فانه اذا كانت الرؤى وحيا للأنبياء أو حديث نفس للأصفياء أو أضغاثا لبعض النفوس ، فان رؤى الأوزاعى لم تكن غير أحاديث نفس صافية قد غرقت فيما تسبح فيه من جد الأمور .

---

(١) فى هذا الحديث وامثاله نظر .

مذهبه وطريقته

ما المذهب؟ . مذهب الأوزاعى . الرأي عنده. مناظرته للقدرية. أهل التوقف. الرفق وصلة الرحم . ضمور المذهب .

ما المذهب ؟

انما يراد بالمذهب الطريقة والرأى حتى ولو أحدث فيه صاحبه بدعة . ومن عادة الناس أن يوضحوا لكل امام من أئمة الناس مذهبه وطريقته بجمع مسائله وفتاويه فى كل أبواب الدين وفصولها ، وأولى من يقوم بذلك الامام ذاته أو أصحابه وتلاميذه الأقربون .

فمالك وأصحابه جمعوا مذهبه . والشافعى وأصحابه فعلوا كما فعل أصحاب أبى حنيفة . وأحمد بن حنبل ترك له مسندا . ولذا سهل الرجوع الى مذاهب هؤلاء من مواردها الأصيلة التى لم تتعكر ، ولم تتفرق لجتها .

ولكن الأوزاعى وأصحابه لم يفعلوا ذلك ، وكذلك كثير من غيرهم من أصحاب المذاهب وأتباعهم ، وفى ظنى أنه لو فعل هو نفسه أو هو وأصحابه معا أو مفترقين لبقى مذهبه مجموعا معروفا الى اليوم . ولكن الأوزاعى نثر مسائله نثرا فى كل مكان ولم يجمعها فى أبوابها وفصولها فعز عليها الاجتماع .

ولقد كانت لدى الأوزاعى الأداة موفورة ، فقد كان كاتبا مهتما بالكتابة وكان عنده عدد من تلاميذه الكتاب ولكنهم لم يفعلوا ، لم يحفظوا لديهم كل قول وكل فتوى ، أو سجلا من نصوص الرسائل التى كتبها وأملاها ، فصار على طلاب الأوزاعى أن يبحثوا فى كتب المغازى والفقه والحديث والمواعظ والأخبار حتى يجمعوها ، بل يحصلوا على القليل منها ، اذ من المستعصى أن تجتمع جميعا ، لأنهم يقولون : ان الأوزاعى أفتى فى سبعين ألف مسألة . فمن ذا الذى يقدر على جمعها حتى ولو كانت كل مسألة من سطر واحد ؟ وفى كم كتاب توجد ؟ وهل كل الكتب التى نشرت مسائل الأوزاعى لم تزل على قيد الحياة ؟.

واذن فانى أقف — مضطرا — عند الاجمال ، محاولا أن أستنبط اذا لم أجد نصا . والله يهدى الى سواء السبيل .

مذهب الأوزاعى :

وليس من شك فى أن مذهب الأوزاعى قد اكتمل بعد أن صار اماما ، أو اكتمل على يد أصحابه الذين نشروه فهذبوا منه ما هذبوا وزادوا عليه ما زادوا ، شأن كل مذهب ما يزال أصحابه يكثرون من مسـائله ويعلمونه وينشرونه ويجمعون حوله الأتباع والأنصار .

وقد لا يتم المذهب وصاحبه الأول حى ، بل يتم على أيدى أتباعه الذين يفصلون ويفرعون . ومع كل ما يفعلون فقد يبقى المذهب محتاجا الى مايكمله أو يعدله من المذاهب الأخرى . وأحق المذاهب بالبقاء ما لا يقف دون التعديل والتحوير .

والأوزاعى قد اتخذ لنفسه خطة وطريقة أوفت به على الغاية التى أرادها فسموا طريقته مذهبا ، وكانت أقواله فى شتى مسائله تؤيد هـذه الطريقة وتثبتها .

والخطة التى سلكها الأوزاعى كانت تؤيد من يريد بلوغ القمة فى العلم والزهد فبلغها . وقد جعل طريق الهدفين واحدا ، فسهل عليه أن يصـل . وعسير على من لم يجعل الزهد مركبا للعلم والعلم سلما للزهد أن يصل الى مبتغاه .

وهـذا الجمع بين الطرفين فى الطريقة قد اتخـذه الصوفية — فيما بعد — خطتهم التى يصلون بها فجمعوا بين الفقه والزهد أو الظاهر والباطن أو الشريعة والحقيقة فى اهاب . ومن لم يتيسر له ذلك ويحمل نفسه عليه لم يبلغ فى العبادة ولا العلم مكانا ، بل انه يقصر عن الفقه وعن الزهد معا لو سلك سبيل واحد منهما دون صاحبه .

وفى زمن الأوزاعى قالت أم سفيان الثورى لابنها تنصح له : يا بنى ، لا تتعلم العلم الا اذا نويت العمل به والا فهو وبال عليك يوم القيامة [١] . ثم

---

(١) تنبيه المغترين ص ١٥ .

قالت له : يا بنى ، اذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى مشيك وحلمك ووقارك ، فاذا لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك [1] .

وكان الأوزاعى — وهو شاب لم ينكفىء على هذه الطريقة — يضحك ويمزح ، ولعله ضحك ومزح وهو على شىء من العلم فلما اعتلى فيه درجات وأخذت الأنظار تتجه اليه والنفوس تتعظ به أمسك عن ضحكه ومزاحه ثم أمسك عن تبسمه الا قليلا [2] . لأنه لا يسع من ترمقه العيون ويهتدى به الناس طمعا فى علمه واستحسانا لطريقته أن تستقبل نفسه كل ما يدعوه الى التبسم حتى ولو لم يفارق سن الشباب . فما بالك بالضحك والمزاح وسن الشباب فى طريق الذهاب ، مع العلم والرأى والقدوة فى سبيل الدين ؟!

وقد حكى عن موسى بن أعين أنه روى عن الأوزاعى أنه قال : يا أبا سعيد ، كنا نمزح ونضحك ، فاما اذ صرنا يهتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم [3] .

وهذه طفاوة من الزهد غشيت الأوزاعى فى شبابه ، ثم لم تلبث أوائلها أن سارت به الى أواخرها فخشع وزهد وأوغل فى الخشوع والتعبد ، ثم صار الضحك عنده من الكبائر أخذا برأى ابن عباس فى تفسيره لقوله تعالى « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » وقال ابن عباس : ان الصغيرة منها التبسم والكبيرة منها الضحك [4] .

وقد انصرف الأوزاعى الى الجد كله دون كثير من الأئمة ، ويتبين ذلك من بعض مسائل الفقه التى بحثوها ، ومثل ذلك قولهم فى الكافر يخدع المسلمين ويؤمهم للصلاة وهم لا يعلمون بكفره . فاتجه الأئمة جميعا الى صحة صلاة المأمومين أو فسادها ، أما الأوزاعى فاتجه الى الكافر الخادع وقال : يؤدب [5] .

---

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ١١٦ .
(٢) محاسن المساعى ص ٩٧ .
(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .
(٤) العقد الفريد : كتاب الزمردة .
(٥) الجامع للقرطبى ج ١ ص ٣٥٦ .

وكان الأوزاعي يرى أن الذنوب لا تمحى من صحيفة العبد مهما تاب . وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه كان يقول : قد يغفر الله الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة وان تاب منها [1] .

الرأى عنده :

لم يكن الأوزاعى وحده ضد الرأى بل كان غيره معه أو أسبق منه ، وربما كانت وصية سفيان الثورى فى هذا الأمر لشعيب بن حرب أفضل ما يوضح طريقة السلف فى ذلك الزمان :

قال شعيب بن حرب لسفيان : حدثنى بحديث فى السنة ينفعنى الله به ، فاذا وقفت بين يديه وسألنى عنه قلت : يارب ، حدثنى بهذا سفيان ، فأنجو أنا وتؤخذ .

فقال سفيان : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، من قال غير هذا فهو كافر . والايمان قول وعمل ونية ، يزيد وينقص ..

ثم قال الثورى : يا شعيب ، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين — أى لا تعمل برأيك لأن المسح على الخفين من أعلاهما ولو كان الدين بالرأى لكان المسح عليهما من أسفلهما أولى — وحتى ترى أن اخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به — وهو خلاف بين الفقهاء . والأشهر أن البسملة فى القراءة فى الصلاة كانت سنة النبى والخلفاء الراشدين وأهل المدينة من بعدهم ، ويريد الثورى من ذلك اتباع طريق أهل المدينة — وحتى تؤمن بالقدر . وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر — وهو القول بطاعة الامام — والجهاد ماض الى يوم القيامة . والصبر تحت لواء السلطان جار أو عدل .

---

(١) مختصر تذكرة القرطبى ص ٦٨ .

قال شعيب : فقلت : يا أبا عبد الله ، الصـلاة كلها ؟ قال : لا ، ولكن صلاة الجمعة والعيدين . صل خلف من أدركت . وأما سائر ذلك فأنت مخير. لا تصل الا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة .

اذا وقفت بين يدى الله فسألك عن هذا فقل : يارب ، حدثنى بهـذا سفيان بن سعيد ، ثم خل بينى وبين ربى عز وجل [1] .

ويتضح من حديث سفيان لشعيب بن حرب أن هذه المسائل كانت تشغل وقت ذاك أذهان الناس . وكان الأئمة فيها على خلاف . غير أنى أشير هنا الى أن سفيان بن سعيد فى فتاويه هذه لا يأخذ بالرأى ولا يبحث وراء العلة فى التشريع ما دامت لم تعرف ، فهو لا يقول بخلق القرآن ولا يبحث عن سر المسح أعلى الخفين . وأظن هذه الفتاوى نفسها هى آراء الأوزاعى وآراء كل فقهاء السنة الذين كانت طريقتهم مثلا فى السلامة من آفات الجدل وحب الدنيا وطلب المعالى وأغراض النفس [2] .

وقد حدث كثير عن اتباع الأوزاعى لهذه الطريقة فقال الوليد بن مزيد : سمعت الأوزاعى يقول : اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل ومنعهم العمل [3] . وقال الوليد : سمعت الأوزاعى يقول : كان يقال ويل للمتفيهقين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات . وروى ابن سابور أنه سـمع الأوزاعى يقول : من أخذ بنوادر العلماء خرج من الاسلام . كما رووا عنه أنه قال : ما ابتدع رجل بدعة الا سلب ورعه . وأنه قال : كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياما ولا صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا عمرة ولا صرفا ولا عدلا [4] .

وأخبر محمد بن كثير المصيصى قال : سـمعت الأوزاعى يقول : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٧٩ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ١٣٢ .

هذه الروايات توضح اتجاه الأوزاعى نحو أصحاب الرأى . وأشد موقف وقفه هو ما روى عنه تجاه أبى حنيفة وشاركه فيه مالك والثورى ، ومن بعدهم أحمد والشافعى ، ولكنه ما لبث أن رجع عنه ومدحه لما رأى من فضله وعلمه . وهى احدى فضائل الأوزاعى فإنه لم ينكر الفضل والعلم اذا رآه فضلا وعلما . وتلك شيمة المنصفين .

ويبدو أن من أسباب كره الأوزاعى للنعمان أن النعمان كان قد أفتى بالخروج على السلطان اذا جار وبدل ، وكان الأوزاعى لا يرى ذلك ، استنادا الى ما وثق به من بعض الآثار — كما تقدم فى وصية الثورى لشعيب بن حرب فى شأن الامام يصلى وراءه — ولكن الأوزاعى عاد عن رأيه فى معاداة أبى حنيفة حين رأى فقهه ومسائله الجياد .

وأبو حنيفة كان كثير الخلاف على أبى جعفر المنصور فلم يرض أن يلى القضاء له فحبسه ، ثم جهر بالكلام ضده أيا مابراهيم بن عبد الله الامام جهارا شديدا فحمله أبو جعفر الى بغداد فمات بها بعد خمسة عشر يوما من حمله اليها ، وكان موته سنة خمسين ومائة أى قبل موت الأوزاعى بسبع سنوات [1] .

وقد حدث عمر بن عبد الواحد قال : سمعت الأوزاعى يقول : أتانى فلان وفلان وفلان وفلان : أربعة — ذكرهم الخطيب فى تاريخه — فقالوا : قد أخذنا عن أبى حنيفة شيئا ، فانظر فيه ، فلم يبرح بى وبهم حتى أدبتهم . فمما جاءونى به عنه أنه أحل لهم الخروج على الأئمة .

وحدث ابن المبارك قال : كنت عند الأوزاعى فذكرت أبا حنيفة ، فلما كان عند الوداع : قلت : أوصنى . قال : قد أردت ذلك ولو لم تسألنى : سمعتك تطرى رجلا يرى السيف فى الأمة . قال ابن المبارك : فقلت : ألا أخبرتنى ؟! — أى حتى لا أطريه — [2] .

وكأنما صدقوا فى قولهم من أن الأوزاعى ما كان يطيق أن يذكر اسم أبى حنيفة عنده قبل أن ينصفه فكان يعرض عمن يذكر اسمه عنده : وقد

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٩ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٨٤ .

حكى ابن المبارك قال : قدمت الى الشام على الأوزاعى فرأيته ببيروت فقال لى : ياخراسانى ، من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة ؟ —يعنى أبا حنيفة— فرجعت الى بيتى فأقبلت على كتب أبى حنيفة فأخرجت منها جياد المسائل وبقيت فى ذلك ثلاثة أيام ، فجئت يوم الثالث ، وهو مؤذن مسجدهم وامامهم والكتاب فى يدى . فقال : أى شىء هذا الكتاب ؟ فناولته فنظر فى مسألة منها وقعتْ عليها « قال النعمان » فما زال قائما بعدما أذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ، ثم وضع الكتاب فى كمه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها .

ثم قال لى : يا خراسانى ، من النعمان بن ثابت هذا ؟ قلت : شيخ لقيته بالعراق . فقال : هذا نبيل من المشايخ . اذهب فاستكثر منه . قلت : هذا أبو حنيفة الذى نهيت عنه [1] .

وهكذا عدل الأوزاعى رأيه حين رأى علما وفضلا ، ثم هكذا عدل أهل السنة الذين تصدوا لأهل الرأى آراءهم . ولقد كان الثورى من أعنفهم على أهل الرأى وقد بانت حدته وعنفه فى وصيته لشعيب بن حرب ، ثم صار الى الاعتدال فصار يقول — اذا سئل عن مسألة دقيقة — : لا يحسن أن يتكلم فيها الا رجل قد حسدناه — يعنى أبا حنيفة — [2] .

***

والأوزاعى أحد الذين ردوا على أبى حنيفة لقوله بالرأى ، وكانوا نحوا من خمسة وخمسين علما من أعلام الفقه والعلم ، منهم أيوب السختيانى ومالك بن أنس وجعفر بن محمد وعبد الله بن المبارك والسفيانيان وابن أبى ليلى واسماعيل بن عياش ووكيع بن الجراح وعيسى بن يونس وابن شبرمة [3] . جاءوا طبقة بعد طبقة .

كره هؤلاء الرأى وحاربوه ، ولم يرحم كثير منهم أبا حنيفة لقوله برأيه. وكان لهؤلاء أن يقفوا هذا الموقف ، ولم يكن من شأن غيرهم أن يقفه ولا

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٨ .
(٢) نور الأبصار ج ١ ص ٢٥٠ .
(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٧٠

من قدره لأن هؤلاء كانوا قد استحصدوا فى العلم وتمكنوا فى الدين ، وقد استحضروا القرآن والحديث والسيرة والسنة استحضارا واضحا فى صدورهم بحيث تأتيهم الحجة من محفوظهم فى يسر وسهولة ، وهذا الذى أجرأهم على موقفهم فلا حاجة بهم الى رأى جديد .

أما الذين احتاجوا للرأى — ولا سيما فيما بعد — فهم الذين لم يجدوا فى الكتاب ولا السنة نصا ثم هداهم الله لرأى اطمأنت له قلوبهم ، وهذه الطائفة رأيها مقبول ، حيث استنفدت الحفظ والدراية والاستنباط قبل أن تبدى حكما . فاذا كان قوم دون هؤلاء دراية وحفظا وفهما فلم ينفعهم أو يسعفهم الا أن يقولوا برأى يرونه فقد كانوا غير مقبولين . ولكنهم وجدوا . ثم تطرف المتطرفون فانفجرت البلاد الاسلامية بالكلام والقدر والاعتزال والضلال .

وأولئك الذين لم تكن لهم حاجة الى ابتداع رأوه جرأة ومضلة ، ولا سيما حينما بلغت الفتنة أواسط دمشق وبلغت طريقة غيلان الدمشقى القدرى مبلغ الفتنة الهوجاء .

وقد بالغ الأوزاعى — أو بالغ الرواة — فى عداوته لأبى حنيفة أولا ، ثم عاد يعترف بفضله ، ولعلهم لذلك عدوا الأوزاعى من أصحاب الرأى . عده كذلك ابن قتيبة فى « المعارف » مع ابن أبى ليلى وأبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن ثم ربيعة الرأى وزفر والثورى ومالك بن أنس [1] .

واذن فقد اعتدلت هذه الكراهة للرأى فى الأوزاعى بعد اطلاعه على آراء أبى حنيفة التى لم تخرج عن السنة ، ووجد الأوزاعى لها سندا من الأصول عنده ولم يعد يراها جرأة ومضلة الا اذا خرجت عن تلك الأصول ، ثم اتفق الأوزاعى مع محمد بن الحسن وأبى يوسف صاحبى النعمان فى كثير من الآراء .

وفى اعتقادى أن أهل السنة هؤلاء كان لهم الفضل الأكبر فى الحد من الانحراف أو التحرر الذى ظنه أهل الرأى لأنفسهم . وكان لهم الفضل فى

---

(١) المعارف ص ٢١٦ .

ردع المعتزلة وأهل القدر والجهمية والمعطلة . ولعلهم قد ألجئوهم الى أن يحــددوا خطوطهم وحروفهم حتى لا يخرجوا بالقرآن والحديث الى ما لم يقصداه .

وكان الأوزاعى أحد هؤلاء الذين ردوا عن السنة . وكان مكانه خطيرا على الساحل اذ رأى نفسه بين كثير من غير أهل الملة ، وهو ما لم يشركه فيه كثير من الأئمة الذين جاءوا بعده من أمثال ابن حنبل والشافعى .

وقد يكون من الضرورى فى البيان أن نشير هنا الى ما كنا أشرنا اليه من قبل فى وفاة الأوزاعى من أن وقوفه ضد الرأى كان له أثر كبير فى أن الفقه الاسلامى لم يتأثر أيضا بمسائل الفقه الرومانى الذى كانت مدرسته لم تزل قائمــة فى بيروت . وقد قال صــاحب تاريخ العرب المطول فى ذلك ما نصه :

ومن الغريب أن الأثر الرومانى لم يظهر بشــكل أوضح فى النظــام الشرعى — الاسلامى — الذى خلفه الأوزاعى الذى عاش فى بيروت وتوفى سنة ٧٧٤ م فقد كانت هذه المدينة وكرا لمدرسة شرعية رومانية حتى القرن السادس للميلاد [١] .

مناظرته للقدرية :

اشتعلت فتنة غيلان الدمشقى فى الشام . كان غيلان من أهل القدر والمتكلمين فيه . وكان أهل القدر يقولون بارادة الانســان كما قال أهل الاعتزال من بعد ، فعد عمر بن عبد العزيز ذلك غلوا من القول ، ورأى أنه لو كان شىء لم يسبق فى علم الله لكان له شركاء تنفذ مشيئتهم فى الخلق دونه [٢] . وكان هنا وهناك وفى كل مكان بلبلة واضطراب وزيغ وضــلالة فرأى عمر أن يجادل كل هؤلاء ليهديهم سواء السبيل .

---

(١) تاريخ العرب المطول ص ٤٨٦ .

(٢) التنبيه والرد ص ٥٦ .

وقد أخبر عمرو بن مهاجر بما حدث بين عمر وغيلان يقول : بلغ عمر ابن عبد العزيز — رحمه الله — أن غيلان يقول فى القدر فبعث اليه فحجبه أياما ثم أدخله عليه فقال : يا غيلان ، ما هذا الذى بلغنى عنك ؟

قال عمرو بن مهاجر : فأشرت اليه ألا يقول شيئا .

قال : فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، ان الله عز وجل يقول : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

قال عمر : اقرأ الى آخر السورة « وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما » ، ثم قال : ما تقول يا غيلان ؟

قال : أقول : قد كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى .

فقال عمر : اللهم ان كان عبدك غيلان صادقا والا فاصلبه .

قال عمرو بن مهاجر : فأمسك عن الكلام فى القدر ، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق — أى دار ضرب النقود — .

فلما مات عمر بن عبد العزيز ثم أفضت الخلافة الى هشام بن عبد الملك تكلم غيلان فى القدر وسال فيه سيل الماء أو سيل البحر فبعث اليه هشام فقطع يده فمر به رجل فقال : يا غيلان ، هذا قضاء وقدر . قال : كذبت ، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدر ، فبعث اليه هشام فقتله [1] .

هذه بداية غيلان ونهايته ، أما البداية فكانت لها حجة عمر بن عبدالعزيز وأما النهاية فلم يستطع فيها هشام بنفسه طولا اذ لم يكن فقيهـا كعمر بن عبد العزيز فمضى فيه الى أقصى الحدة والعقوبة . وكان للأوزاعى مشاركة مع هشام .

---

(١) الاعتصام ج ١ ص ٦٨ .

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبى : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غيلان التكلم فى القدر وتقدم اليه فى ذلك أشد التقدم ، وقال له — فى بعض ما توعده من الكلام — : قد كثر كلام الناس فيك ، وماأحسبك تنتهى حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز اذ احتج عليك فى المشيئة بقول الله عز وجل « وما تشاءون الا أن يشاء الله » فزعمت أنك لم تلق لها بالا . فقال عمر : اللهم ان كان كاذبا فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب عنقه ، فانته أولى لك ودع عنك ما ضره أقرب اليك من نفعه .

فقال له غيلان — لحينه وشقوته — : ابعث الى يا أمير المؤمنين من يكلمنى ويحتج على ، فان أخذته حجتى أمسكت عنى فلا سبيل لك الى ، وان أخذتنى حجته فســألت بالذى أكرمك بالخلافة الا نفذت فى ما دعا به عمر على .

فغاظ قوله هشاما وقال له : قد أنصفت . فبعث هشام الى الأوزاعى فحكى له ما قال لغيلان وما رد غيلان عليه ، وأحضر غيلان .

فالتفت اليه الأوزاعى فقال : اختر ، ان شئت ثلاث كلمات أو أربعا ، وان شئت فواحدة .

قال القدرى : بل ثلاث كلمات .

فقــال الأوزاعى : أخبرنى عن الله عز وجل : هل علمت أنه قضى على ما نهى ؟

قال : مالى بهذا علم .

فقال الأوزاعى : هذه واحدة . ثم قال : أخبرنى عن الله عز وجل : هل علمت أنه حال دون ما أمر ؟

قال : هذه أشد من الأولى ، وما عندى بها علم .

فقال الأوزاعى : هاتان اثنتــان يا أمير المؤمنين . ثم قال للقــدرى : فأخبرنى عن الله عز وجل : هل أعان على ما حرم ؟

فقال القدرى : هذه أشد من سابقتيها . وما عندى فيها شىء .

فقال الأوزاعى : يا أمير المؤمنين ، هذه ثلاث كلمات . وهذا مرتاب من أهل الزيغ .

فأمر هشام بقطع يده فاحتوشه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نقمته واستجابته لدعاء عمر بن عبد العزيز عليه . ثم أقبل رجل كان كثيرا ما ينكر عليه التكلم فى القدر فتخلل الناس حتى وصل اليه فقال له : ياغيلان اذكر دعاء عمر — رحمه الله — فقال غيلان : أفلح اذن هشام ان كان الذى نزل بى بدعاء عمر أو بقضاء سابق ، فانه لا حرج على هشام فيما أمر به . فبلغت كلمته هشاما فأمر بقتله .

وما من ريب فى أن الناس قد اختلفوا فى تقـدير ما حدث الا أنهم حمدوا لعمر بن عبد العزيز أمورا كثيرة : محاجة غيلان ورحمته به ، وفراسته فى غيلان أن سيعود الى ما نهاه عنه ، وتوقعه أن يقتل بسبب غيه حين لايجد من يرحمه ويعفو عنه .

أما الأوزاعى فقد استدعاه هشام وقال له : قد قلت يا أبا عمرو ففسر . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أما تعلم أن الله تعالى قضى على ما نهى ؟ نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بالأكل منها فأكل .

أو ما تعلم أنه تعالى حال دون ما أمر ؟ أمر ابليس أن يسجد لآدم ثم حال بينه وبين السجود .

ثم أو ما تعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن الله تعالى أعان على ما حرم ؟ حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ثم أعان عليه بالاضطرار اليه .

فقال له هشام : أخبرنى عن الواحدة ما هى ؟ ثم عن الأربع ما هن ؟

قال الأوزاعى : أما الواحدة فكنت أقول له : أخبرنى عن مشيئتك ، أمع مشيئة الله أو دونها ؟ فبأيهمـا أجاب حل ضرب عنقه . وأما عن الأربع فكنت أقول له : أخبرنى ، أخلقك الله كما شـاء أو كما شئت ؟ فانه كان يقول : اذا شـاء . قلت له : واذا توفاك فأين تصير ؟ حيث شـاء أو حيث شئت ؟ فانه كان يقول : حيث شاء . فحينئذ أقول يا أمير المؤمنين : من لم

يمكنه أن يحسن خلقه ورزقه ولا يؤخر أجله ولا يصير حيث شاء ، فأى شىء فى يده من المشيئة ؟

قال هشام : صدقت يا أبا عمرو .

ثم قال الأوزاعى : يا أمير المؤمنين ، ان القدرية ما رضوا بقول الله تعالى ولا بقول الأنبياء عليهم السلام ولا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول الملائكة ، ولا بقول ابليس .

فأما قوله تعالى فقد قال « فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » وأما قول الملائكة فقد قالوا « لا علم لنا الا ما علمتنا » وأما قول الأنبياء فقد قال شعيب عليه السلام « وما توفيقى الا بالله » وقال ابراهيم عليه السلام « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » وقال نوح عليه السلام « ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم » .

وأما قول أهل الجنة فانهم قالوا « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » وأما قول أهل النار فانهم قالوا « لو هدانا الله لهديناكم » وأما قول ابليس فانه قال « رب بما أغويتنى .. » [1] .

وهكذا كانت اجابة الأوزاعى . وكانت كلها من القرآن .

أهل التوقف :

لقد خاض بعض الباحثين فى عصر الأوزاعى فى ذات الله سبحانه واختلفوا مذاهب كثيرة ضل معظمها وخاض فى كفر صريح . ولكن الأوزاعى وأمثاله من التابعين وتابعى التابعين توقفوا عند النصوص .

وهؤلاء هم السلف ، وهم يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه الى الله تعالى ، وهو أسلم ، وهم قد سلكوا طريق المفسرين من الصحابة ومن أخذ منهم ، ولكن الخلف خالفوهم فى الطريقة وذهبوا الى التأويل . ومن أمثلة قول المفسرين فى الاستواء : الاستواء الذى يليق به سبحانه . ومن أمثلة قول المؤولين فيه : الاستواء هو الاستيلاء والقهر . وهكذا مضى الناس فى التأويل بعد الصحابة والتابعين .

---

(١) العقد الفريد : كتاب الياقوتة .

وليس فى الكتب المؤلفة فى الشريعة ما يحدد طريقة السلف وأقوالهم أدق من القصيدة النونية التى نظمها ابن قيم الجوزية ، بل ليس لها ثان فى التحديد الذى كاد يجعل أقوال السلف كحد السيف ومتن الصراط — كما وصفوه —

ولم يذهب الأوزاعى فى القرآن أو الحديث الى تأويل ، أما فى القرآن فكما أخبرت عائشة — رضى الله عنها — أن النبى —صلى الله عليه وسلم— لم يفسر الا آيات قليـلة من القرآن . وأما فى الحديث فيؤخذ به — متى ثبت — ولا يؤخذ بغيره ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان مبلغا عن الله . وهو بهذا يقف عقبة كؤودا أمام الرأى والفتوى بغير القرآن والحديث : القرآن على ما فسره السلف ، والحديث كما أوضح الطريق .

والرواة عن الأوزاعى فى ذلك كثيرون : منهم محمد بن كثير والحكم ابن عتيبة وعامر بن يساق وأبو اسحق الفزارى :

فقال محمـد بن كثير : سمعت الأوزاعى يقول : كنـا — والتابعون متوافرون — نقول : ان الله تعالى فوق عرشه . ونؤمن بما وردت به السنة من صفات — . وقال الحكم بن عتيبة : سمعته يقول : عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك ورأى الرجال وان زخرفوه بالقول فان الأمر ينجلى وأنت على طريق مستقيم . وقال عامر بن يساق : سمعته يقول : اذا بلغك عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم وآله — حديث فاياك أن تقول بغيره فانه كان مبلغا عن الله . وقال أبو اسـحق الفزارى : قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة . وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا . واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك ما وسعه . ولا يستقيم الايمان الا بالقول ، ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ، ولا يستقيم الايمان والقول والعمل الا بنية موافقة للسنة [1] .

ويبدو من ذلك أن الناس كانوا قد اختلفوا فى أيامه فى حقيقة الايمان ماهى ؟ أهى قول أم هى عمل أم هما معا ؟ فاتخذ الأوزاعى لنفسه ما لايخرجه عما كان عليه أهل السنة فقال :

---

(١) محاسن المساعى ص ١٣٩ .

كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمـان والعمل — أى هما شيء واحد عندهم — فالعمل من الايمان والايمان من العمل . وانما الايمان اسم جامع ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التى لا انفصام لها . ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه ، وكان فى الآخرة من الخاسرين [١] .

ولعل هذا ادلاء من الأوزاعى برأيه الا أنه لم يزل فى حيز الاتباع لما جاء فى النصوص والآثار . ومثل ذلك فتواه حين سـئل عن رجل معه من الماء ما يوضئه ومعه أبوه فقال : يتوضأ به أبوه فانه من ماله .

وذلك أخذا من قوله — صلى الله عليه وسلم — لابن شكا اليه أباه وأنه يأخذ ماله فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أنت ومالك لأبيك » [٢] .

الرفق وصلة الرحم :

والأوزاعى على صراحته الصـارمة ودقة تحريه كان ناصـحا رفيقا وصاحبا رقيقا . ومن المشاهد أن رواياته فى أحاديث الرفق والرحمـة قد كثرت وتدفقت ، وكأنه لم يأل جهدا فى تتبعها وروايتها . وربما كان هـذا الاتجاه والافراط فيه لما كان يجرى بين الناس من أخذ بالشدة والعنف فى ابان التحول والتغير .

بل كأنما كان هذا الاتجاه طبعا فى الأوزاعى بقى عليه حتى فارق الناس واعتزلهم بعدما تبين له ما هم عليه من تعاد وتظالم ، أو بعد أن لم يعد له احتمال على رؤية تظالمهم وتعاديهم .

وكان من أمثـلة تبشيره بالرفق قوله : ان جمـاعة رووا أن أبا جمعة الأنصارى قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا : يا رسول الله : هل من قوم أعظم منا أجرا ؟ آمنا بك

---

(١) المرجع السابق والصفحة .
(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

واتبعناك . قال : « ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيه الوحى من السماء ؟ بل قوم يأتون بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه . أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا أولئك أعظم منكم أجرا »[1] .

ومما رواه الأوزاعى من تجاوز الله عن الخطأ والنسيان وما استكرهت عليه الأمة ما رواه عن ابن عباس عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال « تجاوز الله عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[2] » .

وحدث الأوزاعى فى الرفق بتخفيف الصلاة على المرأة من أجل الصبى لتنصرف له أمه التى تصلى مع الجماعة فلا يتأذى . روى الأوزاعى من طريقه الى أبى قتادة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال « انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه[3] » .

ثم كان الأوزاعى من رواة أحاديث التخفيف عن الأمة فى صلاة النفل[4] .

ولم يدع الأوزاعى الطير والحيوان دون أن يحث على الرفق بهما ، وقد قال الشعرانى فى طبقاته : كان الأوزاعى — رضى الله عنه — يكره صيد البر أيام فراخه رحمة بأمه وبه[5] . وهكذا كان الأوزاعى من أنصار الرفق فى الأمور كلها اتباعا لما حدث ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « ان الله يحب الرفق فى الأمر كله »[6] .

وفى صلة الرحم وحق الجار وتفريج الكرب عن الناس له فى كل ذلك ميادين ، وقد سبقت الاشارة فى أول الكتاب الى حديث اشتقاق الرحم من اسم الرحمن ، وهو من رواية الأوزاعى الى أبى هريرة .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٠ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٧٧ .
(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ١٣٩ ، ١٦٩ .
(٤) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩٠ .
(٥) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ .
(٦) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠ .

أما الجار وهو صاحب الحق فى الوصية والرعاية فان الأوزاعى يمتد به الى مدى بعيد ، فالجار فى نظره أربعون دارا من كل جانب وهو مأخوذ من قول عائشة رضى الله عنها . فاذا كان للبيت أربعة اتجاهات بأن كان مربعا — وهو ما يكاد يصدق على كل بيت — كان جيرانه مائة وستين .

وقد اختلف الأئمة فى ذلك ، ولكن الاختلاف كان لتوسيع مدى الجار . فعلى رضى الله عنه يرى الجار من سمع النداء — وقد يبلغ النداء البلد كله — وقيل : من صلى معك صلاة الصبح فى المسجد فهو جار . وقال الزهرى : من بينك وبينه أربعون ذراعا . وقيل : البعيد من يليك بحائطه والقريب من يليك ببابه ، لقوله — صلى الله عليه وسلم — لرجل قال له : ان لى جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال « الى أقربهما منك بابا » [1] .

أما فى تفريج كربة الناس فقد روى الى أبى هريرة قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضىء بهما عالم لا يحصيهم الا رب العزة عز وجل » [2] .

ضمور المذهب :

ذاع مذهب الأوزاعى فى أهل الشام ، ثم رحل به جند الشام الى سواحل أفريقية ثم الى الأندلس ، ووفد على الأوزاعى طالب من أهل الأندلس اسمه « ساشاط بن سلمة » فطلب العلم عنده ونقل مذهبه الى الأندلس فبقى المذهب بها مدة الى أن حل مكانه مذهب مالك ، بسبب سهولة الوفود وضرورته فى الحج الى مكة والمدينة حيث يسهل لقاء مالك . وعدم ضرورته الى بيروت حيث يقيم الأوزاعى .

فلما طلبوا العلم عند مالك وأخذوا عنه تراجع مذهب الأوزاعى عن الأندلس والمغرب ثم تراجع عن الشام ذاتها ، ولم يبق سوى ما تناثر تدوينه منه فى كتب الحديث والفقه والأخبار والخلاف [3] .

---

(١) هامش عمدة البيان ص ١٤ .
(٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥٢ .
(٣) محاسن المساعى ص ٤٤ .

ويقال ان علي بن زياد العبسى التونسى كان أول من أدخل الى المغرب جامع سفيان الثورى وموطأ مالك . ثم فسر لهم على بن زياد قول مالك ولم يكونوا يعرفونه . وكان ابن زياد هذا من العجم أوله من طرابلس الغرب ثم سكن مدينة تونس [1] .

وقال ابن القوطية : في أيام عبد الرحمن بن معاوية دخل الغازى بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك بن أنس — رحمه الله — وقراءة نافع بن أبى نعيم ، وكان مكرما ومتكررا عليه بالصلة فى منزله [2] . فلعل عطف عبد الرحمن بن معاوية على الغازى بن قيس سهل له نشر الموطأ وشيوع مذهب مالك .

ويرى بعض مؤرخى الفرنجة [3] أن مذهب الأوزاعى فى الفقه كان سائدا فى الأندلس حتى أيام الحكم بن هشام ثالث الأمراء الأمويين هناك ، ولكن مذهب مالك الذى ساد أفريقية الشمالية برمتها ما لبث أن حل محله حتى فى أيام أبيه هشام على الأرجح .

أما فى الشام فان أول من أدخل مذهب الشافعى الى دمشق أبو زرعة محمد بن عثمان بن ابراهيم الثقفى الدمشقى بعد أن كان الغالب عليها مذهب الأوزاعى . فكان أبو زرعة يهب لمن يحفظ مختصر المزنى — فى مذهب الشافعى — مائة دينار . ثم ولى أبو زرعة قضاء مصر لأحمد بن طولون ثم قضاء دمشق ومات سنة اثنتين وثلاثمائة = أربع عشرة وتسعمائة من الميلاد .

وقالوا : ظل أهل الشام ثم أهل الأندلس والمغرب على مذهب الأوزاعى مدة من الدهر ثم فنى العارفون به وبقى منه ما يوجد فى كتب الخلاف . كما قيل ان مذهبه ساد سورية فترة من الزمان ثم طغى عليه مذهب مالك ولم يكد هذا المذهب ينتشر حتى تقدم اليه مذهب الشافعى .

---

(١) رياض النفوس ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) افتتاح الاندلس ص ٥٨ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٤٥ .

فاذا أضيف الى كل ذلك تدوين مذهب مالك واجتماع أطرافه فى الموطأ وقرب مذهب الأوزاعى المتفـرق الأجزاء من مذهب مالك المجتمع الأجزاء ومكان يحيى بن يحيى النيسابورى [1] قاضى الأندلس وراوى الموطأ فى عهد عبد الرحمن بن الحكم الذى رفع يحيى على غيره من القضاة كما رواه زياد ابن عبد الرحمن وسبطون بن عبد الله وحفص بن عبد السلام وفرعون بن العباس وسعيد بن الحكم وسعيد بن أبى هند وسـعيد بن عبدوس وعبد الرحمن بن عبد الله أشبولى الأندلسيون — قاله القاضى عياض —

أقول اذا أضـيف ذلك كله تبين كيف حل مذهب مالك فى الأندلس والشام مكان مذهب الأوزاعى وكيف ضمر هذا المذهب وانقطع الناس عنه فى سائر الأنحاء .

وأهل الرأى والبدع الذين ظهروا كالقدرية كان لهم مسرح واسع فى الأرض السورية فـكان شيوع مذاهب هؤلاء من بعـد معفيا على مذهب الأوزاعى هناك بعد أن ضيق عليه .

والأوزاعى مهما بلغت مكانته من الفقه ومن التمسك بمذهب السلف من أهل السنة وطريقتهم كان فى مواجه الريح ومعاصف التيار . ومن هذا كله كان ضمور مذهبه وغموض تاريخه فى بلاده التى نشأ فيها .

أضف الى ذلك انقطاع الساحل عن الداخل فى كثير من الأزمنة ، فمن حيث انتشرت آراء دمشق وبغداد ضاعت آراء بيروت ولم يبق منها الا ما رد اليها مما كان عرف من مذهبه فى بطون الكتب والتواريخ .

---

(1) مقدمة تنوير الحوالك .

عبادته وزهده

زهد عصره . صفته وأخلاقه . الوفاء والأصدقاء . ملابســه وزيه . مقادير الأيام . اقامة الصلاة . ولعه بالدعاء . التخشع والعبــادة . اعتزال الناس . المعرفة والوصول .

زهد عصره :

أدرك الأوزاعى الناس وهم أول ما يستيقظون يصلون الصبح ويتفكرون في أمر معادهم وما هم صائرون اليه ، ثم يفيضون بعد ذلك فى الفقه والقرآن [1] .

وهذه كانت صفة السلف جميعا ، ثم ينصرف أهل الفقه والعلم الى فقههم وعلمهم اذا تفرقت جماعة الناس بعد الصلاة . وقد حدث بذلك مسلمة ابن عبد الملك عن الأوزاعى قال :

كان السلف — اذا صدع الفجر أو قبله بشىء — مقبلين على أنفسهم كأنما على رءوسهم الطير حتى لو أن حميما لأحدهم غاب عنه حينا ثم قدم ما التفت اليه . فلا يزالون كذلك حتى يكون قريبا من طلوع الشمس ، ثم يقوم بعضهم فيتحلقون — أى يكونون حلقات العلم — وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون اليه ، ثم يتحلقون الى الفقه والقرآن [2] .

ذلك الذى كان . أما بعد مدة قصيرة فقد رأى الأوزاعى الزمان قد انقلب بأهله وسار الناس القهقرى — هكذا رأى الأوزاعى بعينيه فكيف به لو رأى ما بعده من أزمنة وناس !

وقد حدث راشد بن سعد المعافرى عن الأوزاعى حديثا طريفا يدل على انقلاب الناس وانقلاب الزمان قال : قال الأوزاعى : رأيت رجلا يمشى الى وراء . قال : فقلت : لم تمشى الى وراء ؟ قال : من انقلاب الزمان [3] .

ولعل من العسير على أهل الزمان أن يظلوا شكلا واحدا على تجدد الزمان وانما من شأنهم التغير والتبدل ، ولكن يحرص بعض رجال الدين على

---

(١) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ .
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٢ .
(٣) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٥ .

أن يظل حال الناس فى التعبد آخر الزمان كأوله وربما حسبوا التغير انقلابا وهكذا شأن الزمان .

ومن قبل الأوزاعى قال أنس بن مالك الصحابى — رضى الله عنه — لأهل زمانه وهم من الصحابة والتابعين : انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الموبقات [1] . رواه البخارى .

ولكن الأوزاعى وأضرابه ظلوا مستمسكين بأخلاق السلف وعاداتهم لم تزل أقدامهم أو تنقلب فيمشون الى وراء . أما الأوزاعى وحده فقد أخذ نفسه بالقهر والتأديب حتى قال فيه الوليد بن مزيد تلميذه : عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدبه فى نفسه . وما سمعت منه كلمة فاضلة الا احتاج مستمعها الى اثباتها عنه . ولقد كان اذا أخذ فى ذكر المعاد : ترى فى المجلس قلب لم يبك ؟ [2] .

وقد اقتدى الأوزاعى بأساتذة له فى الزهد واكتسب من أخلاقهم كثيرا فقد كانوا أعلام الزهد والتقوى فى زمانهم حتى طبعوا أكثر الناس على ما أرادوا . منهم الباقر والزهرى وعطاء والثورى وعبد الرحمن بن القاسم والحكم بن عتيبة وميمون بن مهران ورجاء بن حيوة وكثير غيرهم لا يحصون عددا .

لقد اكتسب من أخلاقهم كما تهيأ له استعداده فبرع فيه وأشفق على نفسه وعلى الناس من التفريط ، وخشى العقاب الذى ينتظره وينتظرهم لو أسرفوا ، ولم يخلق الله الخلق الا لعبادته التى قصروا فيها وتخلوا عنها . وقد قال الأوزاعى فى ذلك : بلغنى أن فى السماء ملكا ينادى كل يوم : ألا ليت الخلق لم يخلقوا ، وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له [3] .

وقد كان الأوزاعى يغبط كل من رآه قد سبقه فى الزهد والعبادة — وقد رأى ذات مرة شابا بين القبر والمنبر — فى مسجد المدينة — قائما

---

(1) رياض الصالحين ص ٤٠ .
(2) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٩ .
(3) قصص الأنبياء ص ٣١ .

يصلى حتى الفجر ، فلما طلع الفجر استلقى ثم قال : عند الصباح يحمد القوم السرى . فقال الأوزاعى : يا ابن أخى ، لك ولأصحابك لا للجمالين [1] .

صفته وأخلاقه :

لم يتعرض أحد ممن حدثوا عن الأوزاعى لصفته فى بدنه أيام شبابه سوى ما أمكن استنباطه من قوته وفتوته فى رباطه بالساحل فى العصر الأموى ، وانما وصفوه بعد ما اكتهل وأسن فقالوا انه كان رجلا فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة ، وكان يخضب بالحناء [2] .

ولا ريب فى أن خضابه بالحناء كان ميلا منه الى ما أباح الخضاب فى أحاديث النبى مخالفة لما اعتاده اليهود والنصارى الذين لم يكونوا يخضبون ، أو فى بعض الأحوال التى توجب أن يظهر المسلمون فى مظاهر القوة والاحتمال ، وتشبها بأصحاب النبى حين فتح مكة ليظهروا أقوياء حينما ادعى أهل مكة أن المدينة أضعفت قواهم . فقاس الأوزاعى على ذلك بالرباط وسط النصارى . ولم يكن خضابه للزينة أو التمويه . وقد روى الأوزاعى عن الزهرى الى أبى هريرة فى أمر الخضاب قوله — عليه الصلاة والسلام — « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » [3] ونفذ الأوزاعى ما قضى به الحديث حين ثبت لديه .

وثبت أن الأوزاعى كان فى شبابه يميل الى الضحك والمزاح ، ولكنه ما لبث أن انتهى عنهما معا ، بل وعن التبسم الا قليلا ، على أنه لم يغرق فيهما قط من قبل ولم يخرج بهما عن الحد المعتدل ، لأن المغرقين المسرفين قليلا ما ينتهون ، فهم متى استرسلوا لطبيعتهم وانقادوا لهواهم انساقوا الى البغى والجموح وصار لهم أقبح مذهب وأسوأ طريقة .

أما من يستجيبون لمعالجة أهوائهم فسرعان ما يبرءون من العيب وينقهون من المرض . ومثل هؤلاء كان الأوزاعى . وقد أتته الشريعة

---

(١) المستطرف ص ٧ — والمثل يضرب فى سير الابل ليلا حتى اذا أصبحت استراحت .
(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٤٠ .
(٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٦٦ .

الاسلامية بتأكيد ما عالجه فى نفسه فحركته الى الفضائل وشوقته الى المحاسن .

ومن الخبر الذى سقناه من قبل والذى حكاه موسى بن أعين عنه من امتناعه عن المزاح والضحك بسبب صيرورته اماما يهتدى به فما عاد يسعه التبسم [1] . من هذا الخبر وحده يصف الأوزاعى نفسه وهو شاب ثم يصفها حين صار قدوة أو ظن أنه صار قدوة يعتقد الناس فيه الخير ويتلقون منه العلم ، وهى حال انتقل اليها متعظا لم ينتظر التجارب حتى تخبطه بآلامها ، ولكنه حين رأى نفسه معلما التزم وقار المعلم ، شأنه شأن المعتبرين الموفقين . ثم قيل : ما رؤى الأوزاعى ضاحكا مقهقها قط .

ووصفوا الأوزاعى — فى غير صفات البدن — بأنه كان صدوقا مأمونا فاضلا خيرا كثير الحديث والعلم والفقه حجة [2] . وكان متواضعا لطيف المعشر لا يرد عن صحبته أحدا ولو كان واحدا من أهل الذمة الا اذا رأى منه ما يؤذيه أو يخلط عليه اعتقاده ويعكر اخلاصه . ولقد رافق يهوديا فى رحلته الى بيت المقدس فجاء اليهودى بشىء من السحر والتخريق فطرده الأوزاعى من صحبته ولم يعد اليها أبدا !

قال الوليد بن مسلم : أردت بيت المقدس أنا والأوزاعى فرافقت يهوديا فلما صرنا الى طبرية [3] نزل اليهودى فاستخرج ضفدعا وأتى بشىء من السحر والتخريق ، فحين رأى الأوزاعى ذلك قال لليهودى : لا رافقتك أبدا ، اذهب عنى [4] . وطرده عنه ولم يلم بشىء من سحره وتلفيقاته ، وان كانت الرحلة فى حاجة الى تسلية وأصحاب .

أما اذا لم يأت صاحبه بما يكدر صفو المحبة فانه لم يكن يقصيه عن صحبته ولو كان ذميا ، وربما نال من شفاعته لدى أولى الأمر لو احتاج يوما الى شفاعته عندهم .

---

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٢) الطبقات ج ٧ ص ٤٤٧ .

(٣) طبرية : بلد بالأردن كانت قصبته قديما ولها شأن فى الحروب الصليبية وهى فى الارض المحتلة الآن .

(٤) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٩٥ .

ومن ذلك ما حدث عنه أحمد بن أبى الحوارى قال : بلغنى أن نصرانيا أهدى الى الأوزاعى جرة عسل وقال له : يا أبا عمرو ، تكتب الى والى بعلبك . فقال له : ان شئت رددت الجرة وكتبت لك والا قبلت الجرة ولم نكتب لك — فرد الجرة وكتب له ، فوضع عنه الوالى ثلاثين دينارا [1] .

ولم يكن الأوزاعى ذا منصب ولا جاه فى الحكم . وكان مما لا يأثم فيه أن يقبل هدايا الناس حتى لو كانت للاستشفاع بجاهه العلمى عند السلطان — ما لم يضيع حقا أو يوقع ظلما — ولكن الأوزاعى نظر الى الهدايا التى تقدم اليه نظر الشبهة ، فقد تكون رشوة تدخل عليه وعلى مهديها شرا . بل نظر الأوزاعى الى الهدايا كلها نظرة الريبة والاستحقار فقال : لو قبلنا من الناس كل ما يفرضون علينا نهنا فى أعينهم [2] .

وحتى هدايا الخلفاء وجوائزهم — والتى تقبلها غيره ، ومنهم من كان أعلى منه سابقة — فقد رفضها . وحين أمر له الخليفة المنصور — اثر نصيحة له منه — بمال يستعين به على خروجه من دمشق الى بلده بالساحل لم يقبله وقال : أنا فى غنى ، وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا ولا بها كلها . وعرف المنصور مذهبه وخلقه فلم يلح عليه فى أخذه [3] .

الوفاء والأصدقاء :

والأوزاعى أحد الأوفياء ولا سيما لأصحابه القدامى ، لم ينقطع عنهم ولم يقطع صلاته بهم . وكان يفرح بلقائهم ويهش لهم . وقد أثر عنه قوله : لقاء الاخوان خير من لقاء الأهل والمال [4] .

بل اتخذ الأوزاعى من نفسه معلما للوفاء ، وقد حدث عنه أستاذه يحيى ابن أبى كثير أنه قال فى أحد مواعظه : ان داود النبى قال لابنه سليمان :

---

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .
(٢) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ .
(٣) محاسن المساعى ص ١٣٥ .
(٤) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣٩ .

يا بنى ، لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك . ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد . ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق [1] .

ومن رواية هذا الحديث تستفاد مكانة الأوزاعى فى العلم اذ يحدث عنه أستاذه الأول يحيى بن أبى كثير . كما يستفاد اهتمام الأوزاعى بالوفاء والحذر ، اذ هو يروى عن داود يعلم سليمان ، وملكهما بالسعة معروف وبالقوة والسلطان مشهور ، فما بال غيرهما ممن لا قوة له ولا سلطان !

وللأوزاعى رأى فى الصديق الحق . فقد وصفه بقوله : من كان مرآتك يبين لك حسنك وقبحك ويعرفك مكارمك وسوءاتك .

وكان دائما يؤيد آراءه بالروايات ويتخذ منها الأسانيد لتثبيت رأيه فى قلوب الموعوظين . وقد روى عن بلال بن سعد قال : أخ لك كلما لقيك أخبرك بعيب فيك خير لك من أخ لك كلما لقيك وضع فى كفك دينارا [2] .

وهذا أمر قد انقلب فى زماننا ، بل فى كل الأزمنة وعند كل الناس ، فهم ينفرون من كل من يخبرهم بعيب فى أنفسهم . وقد مات رأى الأوزاعى وبقى رأى من قال : ان قول الحق لم يدع لى صديقا .

ولم يعرف قط أن الأوزاعى أثقل على أحد من أصدقائه اذا نزل عليه ضيفا ، بل كان يكون أخف حملا وأقل وطأة . وكان يفرح ان أضافه أحدهم ولم يتكلف له فوق طاقته . وهذا الذى نعده نحن بخلا وتقصيرا عده الأوزاعى مهنأة له فى الضيافة !

ففى أول وطأة للعباسيين وطأوها البلاد هرب الأوزاعى من طريقهم . وكان الناس — والفقهاء خاصة — من كل من له صلة ببنى أمية يهربون من المسودة عساكر العباسية ولا سيما فى أول وطأتهم البلاد . وقد حدث يحيى ابن معين — فى أثناء كلامه عن واصل بن جميل من جبل الجليل — من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق ، ومن أعمال لبنان ، وهو فى الأرض المحتلة الآن — قال :

---

(١) عيون الاخبار ج ٣ ص ١ .
(٢) عيون الاخبار ج ٢ ص ١٣ .

لما هرب الأوزاعى من عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس اختبأ عنده ، وكان الأوزاعى يحمد ضيافته ويقول : ما تهنأت بضيافة أحد مثلما تهنأت بضيافتى عنده ، وكان قد خبأنى فى هرى العدس ، فاذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت من العدس فطبخت ثم جاءتنى به . فكان لا يتكلف . فتهنأت بضيافته [1] .

***

وكذلك كان خلق الأوزاعى مع أصدقائه ، مع ما للصديق من حق فى طعام صديقه ولو لم يكن صاحب الطعام موجودا عليه — ما لم يسق ذلك الى محرم — وآية القرآن فى طرح الجناح عن الطعام تقول « ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم » .. الى قوله : « أو صديقكم » واضحة فى ذلك .

وقد قالوا : انه دخل محمد بن واسع عابد البصرة ومالك بن دينار الفقيه الى دار الحسن البصرى فلم يجداه فى الدار ، فرأى محمد بن واسع طعاما للحسن فأكل منه من غير اذن الحسن ، وعزم على مالك فلم يوافقه مالك وقال : حتى يأذن لى صاحبه . وبينما هما فى ذلك دخل الحسن البصرى فأعجبه فعل محمد بن واسع وقال : هكذا كنا نفعل مع أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى جئتنا يا مويلك ! [2] .

ملابسه وزيه :

وقد لبس الأوزاعى الصوف فى السفر وتركه فى الحضر . وكان يقول : لبس الصوف فى السفر سنة وفى الحضر بدعة [3] . كأنه ينكر بدعة من اتخذ الصوف لباسا دائما .

وقد كره الأوزاعى لبس السواد الذى كان شعار العباسية فسموهم المسودة وأعلن كراهته . وقد قالوا انه اجتمع بالخليفة المنصور حين قدم

---

(١) معجم البلدان المجلد ٢ ص ١٥٨ .
(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٩٠ .
(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

الشام ووعظه فأمال قلبه اليه بحسن وعظه .ولما أراد الانصراف استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، ثم أرسل حاجبه الربيع فى أثره ليسأله لم كره السواد ؟ فلحق به الربيع وسأله فقال : لأنى لم أر محرما أحرم فيه ولا عروسا جليت ولا ميتا كفن ، فلهذا أكرهه [1] .

ثم رأى الأوزاعى صلة للهيئة والزى فى زهد الرجل ووقاره ، فاستحسن لبس العمائم للرجال ورآها تزيدهم وقارا وحلما .وقد أثر عنه قوله : العمائم تيجان العرب . وقوله : اعتموا تزدادوا حلما .

وقد كان وهو يعتم لا يرضى لعمامته طرفا كما كانوا يفعلون ولا سيما فى البادية والحر ، لسكناه الشام وهى أخف حرا وألطف جوا وأبرد شتاء . وقد أخبر الوليد بن مزيد أنه رأى الأوزاعى يعتم فلا يرخى لها شيئا [2] .

وكذلك رووا أنه خضب ورووا أنه لم يغير من شيبه ، قد اختلفوا فى ذلك ، فلعله فعل الأمرين : خضب مرة وترك الخضاب أخرى ، اذ فى أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ما يسن التغيير وما يكرهه — وقد أوضحنا فيما قبل سبب سن الخضاب — ولعل اختلاف السنة فى ذلك كان لاختلاف أحوال الناس وأزمنتهم ، فأخذ الأوزاعى بذلك حينا وبذلك حينا ، وبالأمر الذى كان أشبه بحاله وأفضل .

مقادير الأيام :

والأيام متساوية القدر عند المسلمين ، لم يفضلوا منها يوما على يوم ، الا يوم الجمعة — ووقت الصلاة — وكذلك العيدين حيث يجتمع الناس من الأطراف ويزدحمون على الصلاة والخطبة والدعاء . ومن حق هذه الأيام أن يكون لها هذا الفضل الذى أفردها به الاسلام .

وقد كره الأوزاعى أن يشرع الناس بالسفر فى يوم الجمعة لأنه يعطل الصلاة ويحرم المسافر من ثواب الجماعة وفضائلها واللجأ الى الدعاء فى

(1) محاسن المساعى ص ١١٥ .
(2) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٢ .

صفوفهم . وتبدو كراهته هـذه فى تعاليمه فيمـا رواه عن عمر بن الحكم اللخمى قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسـلم — « من خرج يوم جمعة مسـافرا دعت عليه الملائكة أن لا يُصْحَبَ فى سفره ولا تُقْضى حاجته » [1] .

ومما لا ريب فيه أن تلك الكراهة تنصرف الى وقت الصـلاة الذى تؤدى فيه لأن الله سبحانه يأمر بالاقبال على الجمعة قائلا « وذروا البيع » . ثم يأمر القرآن بالانتشار فى الأرض وابتغاء الرزق بعد أدائها . فليس الأمر مطلقا . وكذلك لا يدخل التحذير من السفر يوم الجمعـة اذا كان للحج أو الجهاد أو ضرورة فى مصالح العباد .

اقامة الصلاة :

لقد اشـترط الأوزاعى فى الصـلاة — حتى تكون قد أقيمت على وجهها — شروطا ورد بها القرآن مجملة وورد بها الحديث مفصـلا . وقد أداها هو مجتهدا مشمرا . ولم يؤدها مسروقة منقوصة . قد عرف لها مواقيتها وفضائلها . وقد كان الأوزاعى فيمن روى عن عائشة — رضى الله عنها — لعيسى بن طلحة قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لو يعلم الناس ما فى صلاة الغداة والعتمة لأتوهما حبوا » [2] .

وحدث الأوزاعى بحديث قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ان أسوأ الناس سرقة الذى يسرق فى صلاته » قالوا : وكيف يسرقها يا رسول الله ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها » [3] .

وقد أخذ الأوزاعى برأى سفيان الثورى فى أن يعيد الضاحك المقهقه الوضوء اذا فعله فى الصلاة . ولم يكن هذا رأى الأوزاعى من قبل ، ولكنه عاد فأخذ به : قال الأوزاعى : كنت أقول فيمن ضحك فى الصلاة قولا لاأدرى

---

(١) رياض النفوس ج ١ ص ١٦٨ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠١ .
(٣) المرجع نفسه ج ٨ ص ٢٢٧ .

كيف هو ؟ فلما لقيت سفيان الثورى فسألته قال لى : يعيد الوضوء ويعيد الصلاة . فأخذت به [1] .

وعقاب تارك الصلاة عنده وبيل ، وأوبل منه عقابا من فرض على نفسه فرضا فاعتاده ثم ترك عادته تكاسلا أو فراقا . وقد روى عن يحيى بن أبى كثير الى عمرو بن العاص قال : قال لى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » [2] .

والخشوع فى الصلاة أحد أركان اقامتها ، وقد سئل الأوزاعى عن صفة هـذا الخشوع فيها فقال : غض البصر وخفض الجناح ولين القلب وهو الحزن .

ولعه بالدعاء :

وقد أولع الأوزاعى بالدعاء استجابة لكثير مما أمر به الكتاب والسنة . وللمسلمين فى الدعاء ما لا مثيل له فى الأديان الأخرى كثرة وافتنانا ، حتى ان كثيرا من طوائف الصوفية عند المسلمين صارت معظم أوقاتهم فى الليل والنهار الى الأوراد والدعاء .

وقد روى الأوزاعى من أدعية النبى قوله « اللهم انى أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » [3] . وقوله يدعو فى السفر — وقد رواه عن حسان بن عطية — « الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا مذكورا . اللهم أعنى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام واكفنى شر ما يعمل الظالمون فى الأرض . اللهم فى سفرى فاصحبنى ، وفى أهلى فاخلفنى ، وفيما رزقتنى فبارك لى ، ولك فى نفسى فذللنى ، وفى أعين الصالحين فعظمنى ، وفى خلقى فقومنى ، واليك رب فحببنى ، الى من تكلنى رب المستضعفين وأنت ربى [4] .

---

(١) المرجع السابق ج ٩ ص ١٦٢ .
(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .
(٣) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٨٥ .
(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٧ .

وعن الأوزاعى عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس فى سفر فنزلا منزلا فقال لغلامه ايتنا بالسفرة نعبث بها . فأنكرت منه [1] . فقال : ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت الا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها عنى ، واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول « اذا كنز الذهب والفضة فأكثروا هذه الكلمات : اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة فى الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم . انك أنت علام الغيوب [2] » .

وكذلك أخذ شداد بن أوس يذكر دعاء للنبى يغطى به غلطته فى ارادة العبث بسفرة الطعام ، وطلب الى أصحابه أن لا يحفظوها عنه ، ولكنهم حفظوها ، وأدركه الندم ولات ساعة مندم .

وكان الأوزاعى أشد اهتماما بدعاء الليل .

التخشع والعبادة :

ربما كانت العلة فى تحول الأوزاعى عن الضحك والمزاح منذ شبابه اتصاف نفسه بالحياء الذى هو انحصار النفس مخافة فعل قبيح يصدر عنها . واحساس النفس بالأفعال القبيحة ونفورها منها دليل على كرم جوهرها . وقد قيل انه لا يوجد فى الناشىء فراسة أصح ولا دليل أصدق لمن آثر أن يعرف نجابته وفلاحه وقبوله الأدب من خلق الحياء . حقا ان صاحبه قد يبدؤه بالتصنع والمحاولة والمجاهدة ولكنه متى استمكن وتتابعت التجارب به واجتنبت النفوس أن تقع فى قبيح ورأت بسببه السلامة وعلو المكانة صار تهذيبا دائما وخلقا ملازما [3] . وهذا ما وقع للأوزاعى منذ صباه . ثم تطابقت

---

(١) كأنهم كرهوا منه نية العبث على الطعام الذى بالسفرة من غير جوع على أنهم لا يعبثون به عند الجوع .

(٢) عيون الاخبار ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) الهوامل والشوامل ص .

صفة الأوزاعى المخلوقة مع ما جاءت به الشريعة من قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « الحياء شعبة من الايمان » فاتفتح له الطريق بذلك الى فهم الشريعة وما جاءت به موافقا لفطرة الخير وكل ما هو صادق صحيح .

ورويدا رويدا صار الأوزاعى الى العبادة والتخشع عن علم وتجربة . وقد صار له رأى فى ذلك وعمل . أما رأيه فقد كان يفرق بين خشوع التابع وخشوع المبتدع ، وهما فى الظاهر واحد ، ولكن المبتدع قد يكون على ضلالة فيلقى عليه الخشوع والبكاء ابتلاء من الله كى يصطاد به [1] .

وأما عمله فقد أعمل فكره فى التعبد وذكر الله وأكثر من البكاء ، وصار يرقى فى العبادة ويتخشع حتى غض من بصره فلم يعد يحب أن ينظر الى شىء ، وعاف مظاهر الدنيا وعزف عن ألوانها ، ولقد قال بشر بن الوليد عنه حين رآه : رأيت الأوزاعى كأنه أعمى من الخشوع[2] . وقال الوليد بن مزيد : ما رأيت أكثر اجتهادا من الأوزاعى فى العبادة وما أتى عليه زوال قط الا وهو قائم يصلى [3] . ثم قال الوليد : كان الأوزاعى من العبادة على شىء لم نسمع بأحد قوى عليه . وقال أبو مسهر : لقد كان الأوزاعى يحيى الليل صلاة وقرآنا وبكاء . وقد حج فما نام على راحلته انما هو فى صلاة فاذا نعس استند الى القتب [4] .

وعن مروان بن محمد أن الأوزاعى قال : من أطال قيام الليل هون الله عليه موقفه يوم القيامة . وقال مروان : ما أحسب الأوزاعى أخذه الا من قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » .

وسبق أن قلنا فى آخر فصل الدعاء انه كان أشد اهتماما بدعاء الليل — ودعاء الليل أسهم الضعفاء والمظلومين — وقد روى الأوزاعى من طريقه الى عبادة بن الصامت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال « من

---

(١) الاعتصام ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٣) محاسن المساعى ص ٩٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ٧٥ .

تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلاته [1] » .

وفى مثل هذا الدعاء والعمل رحمة بالناس اذ ذلك فى متناول كل انسان وعند أدنى قدرته وفهمه ، وهذا ما يمتاز به الاسلام اذ تقرب أعالى أعماله من أدنى الناس فهما وعملا .

وقد ابتعد الأوزاعى عن الرياء ، حتى انه كان حين يعظ الناس فيبكون يمسك هو عن البكاء ، فاذا دخل بيته واعتزل الناس بكى حتى يرحمه أهل بيته ، وذلك لكمال اخلاصه وهربه من الرياء .

لا يبكى حين يراه الناس ويبكى فى الخلوة حين لا يرونه أخذا بقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله .. منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » [2] .

ولقد صار الأوزاعى من البكائين ، وضرب به المثل بالمشرق كله فى عبادته ورقة قلبه وغزارة دمعه وكثرة اشفاقه وخشيته وتواضعه ورحمته [3] .

ولم يكن الحزن الذى أراده الأوزاعى حزن العامة الذى هو انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة تأسفا على فائت أو توجعا لممتنع ، وانما كان حزن الخواص الذى هو خوف العقاب والفزع من أن لا يكون قد تم له الرضا والقبول ، وهى درجة عليا فى طريق أهل التصوف .

هذا ، وان كان بعض الفقهاء يعدون أى حزن على المحزونين عيبا ، واللسان المعبر العضب فى ذلك ابن القيم الذى يرى أن معرفة الله يجلو نورها كل ظلمة ويكشف سرورها كل غمة [4] .

---

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٥٤ .
(٢) محاسن المساعى ص ٧٠ .
(٣) رياض النفوس ج ١ ص ٢١٠ .
(٤) انظر طريق السعادتين لابن القيم .

اعتزال الناس :

لقد هرب الأوزاعى فى شبابه من ضوضاء المدن ، ثم هرب مرة ثانية حين أسن من الاجتماع بالناس هروبه من الرياء . ومع اعترافه بفضل الجماعة فقد آثر السلامة بالعزلة واتبع طريقة أستاذه مكحول الذى كان يقول : ان كان فى الجماعة فضيلة فان فى العزلة السلامة [1] .

وكان اعتزال الأوزاعى للناس لما رأى من شرهم وسوء صحبتهم وفساد زمانهم ، وقد حدث بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول عن الأوزاعى أنه قال : كان يقال : يأتى على الناس زمان أقل شىء فى ذلك الزمان أخ مؤنس أو درهم حلال أو عمل فى السنة [2] .

وكأنما بلغ الأوزاعى ذلك الزمان فاعتزل النـــاس ، وكذلك حين كبر وصار قمة فى الدين صار قمة كذلك فى العزلة والبعد حتى صار كأنه غريب . ولمـــا لم يعودوا يرون منه غير هيئته التى لا تروق أبناء الدنيا تطاولوا عليه وسبّوه .

ومعظم أبناء الدنيا يهابون الرجل متى كان شابا صحيحا أو ذا هيئة وزينة ، ويهابونه أكثر متى كان ذا مال أو كان جريئا متسلطا عليهم كالكلاب الضارية تهاب ذا البزة والهيئة وتجترىء على ذى الخلقان من الثياب . أما حقائق الباطن فالكلاب لا تعلم ، كأبناء الدنيا وخشاشها لا يعلمون .

ولم يكن من مكارم الأخلاق التى اتصف بها الرسل عليهم السلام أن تحقر عيونهم ذا هيئة رثة ، فلعل لهم قلوبا هى أكثر اتصالا بالله من كل ذى زى جميل . ويقول الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام فى ذلك « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم » .

والصوفية يستعذبون سب الناس لهم لأنه يدعوهم — كما يرون — الى العزلة عن الناس واللجأ الى الله ، ولو أكرمهم الناس لمالوا اليهم ونسوه .

---

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٦٧ .
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣١ .

وعامة الناس يفشو فيهم ضعف العقل والتمييز . حتى انك لتجد المجنون المطبق والسكران الطافح يسخران بالصحيح . والجاهل الناقص يهزأ بالحكماء والأفاضل العلماء . والصبيان الصغار يتفكهون بالكهول . والسفهاء العيارين يستخفون بالعقلاء المتصاونين .

وذلك أنه كلما نقص العقل وقل التمييز توهم صاحبه أنه أوفر عقلا وأكمل تمييزا . وهذا الغلط لا يدخل على ذوى الفضائل ، وانما يدخل على من له أدنى حظ منها ، فانه يتوهم حينئذ أن له أعلى الدرجة فيه [1] .

وكانت عادة اعتزال كبار السن من الفقهاء فاشية حتى فى المدينة التى لم يزل أهلها على استقامتهم . وفى تذكرة القرطبى أن الامام مالكا — رحمه الله — قال : أدركت النــاس وأهل العــلم فى بلدنا وهم يطلبون الدنيــا ويخالطون الناس حتى يبلغ أحدهم أربعين سنة ، فاذا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وتفرغ للعبادة . ويقولون انهم تأولوا ذلك من قوله تعالى « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر » وقد فسره ابن عباس والمحققون بأنه ستون سنة وقيل أربعون [2] .

وقد اعتزل الناس أئمة كثيرون حين أسنوا ولم يجدوا من شغب الناس احتمالا ، منهم مالك ومكحول والأوزاعى . والعزلة المرادة هى العزلة عن العبث والشغب والسفه وما دخل فيه العامة من أساليب الاستهانة والمهاترة .

وهذه عزلة الفقهاء . أما عزلة الصوفية فهى أبكر من تلك لمن نظر الله اليه نظرة الرضا ، وليس غرض الصوفية منها أن يسلموا بأبدانهم فقد أهانوها وأفنوها فى العبادة ولكنهم اعتزلوا بقلوبهم عن الناس حتى تخلص لله . وقد رآها الأوزاعى أعظم العافية فقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها صمت ، وجزء منها الهرب من الناس [3] .

---

(١) رسائل ابن حزم ص ١٦٠ .
(٢) رياض الصالحين ص ٥٩ .
(٣) محاسن المساعى ص ١٠٤ .

المعرفة والوصول :

لقد كان قلب الأوزاعى معلقا بالله ، يود أن يراه ، لأنه يؤمن ايمـان السلف برؤية وجه الله لقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة لربها ناظرة » .

ولما كان ما يراه الصالحون فى رؤاهم شيئا قد اهتموا به ، فقد رأى الأوزاعى رب العزة فى منامه — اذ لا سبيل الى رؤيا متخيلة بلا جسم الا اذا كانت فى النوم — وقد حدث عبد الله بن عروة قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث أن الأوزاعى قال : رأيت رب العزة فى المنام ، فقال لى : ياعبد الرحمن ، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلك يارب . وقلت : يارب ، أمتنى على الاسلام . قال : وعلى السنة .

وقال عمر بن سلمة التنيسى : سمعت الأوزاعى يقول :

رأيت كأن ملكين عرجا بى وأوقفانى بين يدى رب العزة فقال : أنت عبد الرحمن الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقلت : بعزتك رب ، أنت أعلم . قال : فهبطا بى حتى ردانى الى مكانى [1] .

هذا . ورؤية الله سبحانه مشكلة أوقعت كثيرا من الناس فى آراء لم يأخذ بها أهل السنة الذين لم يروا محيدا عن التمسك بظـاهر ما جاء فى القرآن والحديث ، ولم يتركوا لأنفسهم أن يتـأولوا كالجهميـة والقرامطة والمعتزلة والأشعرية وغيرهم .

وكان الأوزاعى ممن تمسك بظاهر القرآن والسنة ، ثم حكى عن سائر العلماء فى البلدان — وكان العلماء حينئذ من التابعين المتوافرين — وقد سلموا من الكلام والتأويل وكانوا جميعـا يؤمنون بقولة مالك المشهورة ويرددونها :

«ان الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال

---

(١) محاسن المساعى ص ٩٥ .

عنه بدعة » . حتى ان الكلمة لنصاعتها نسبت الى جملة من الفقهاء والأئمة القدماء غير مالك .

ويقول ابن القيم فى قصيدته النونيــة فى الاستواء وقول الأوزاعى فيه

وكذاك أوزاعيهــم أيضــا حــكى
عن ســائر العلمــاء فى البلدان

من قــرنه — والتــابعون جميعهم
متوافرون — وهم أولو العــرفان

ايمــانهم بعــلوه ســبحانه
فوق العبــاد وفوق ذى الأكوان

***

السياسة والعهود

سياسة الناس . بعض أهل الذمة .
صحبة الحكام . أخلاق الباعة . صراحة
أبى ذر . ميل أموى . هرب الأوزاعى .
فى دمشق . فى مكة . لقاء المنصور .

سياسة الناس :

لقد اهتم الأوزاعى بالامة الاسلامية كلها فلم يحرمها عطفه ونصحه ونصح الأمراء فيها . وقد قال محمد بن عجلان : ما رأيت أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعى [1] .

ومن قبل هذا اتضحت سياسة الأوزاعى فى سياسة الرفق ووجوب امتداده الى الناس جميعا ، حتى بالقاتل الكافر أصاب مسلما فى حرب ثم لجأ الى الاسلام فرارا من المسلم المتمكن منه . وقد استند فى رأيه هذا الى الكتاب العزيز فى قوله « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » . ثم الى ما حدث به هو والليث بن سعد عن ابن شهاب الزهرى الى المقداد بن عمرو الكندى قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت ان لقيت رجلا من المشركين وقاتلنى فقطع يدى بالسيف فلما هويت لأضربه لاذ منى بشجرة فقال : أسلمت لله ، أو قال : أشهد ألا اله الا الله ، أأقتله ؟ قال « لا » قلت : يارسول الله انه قطع يدى . قال « انك ان قتلته كان بمنزلتك قبل أن تقتله وكنت بمنزلته قبل أن يقول الذى قال » [1] .

وهذا كان شأن الاسلام فى قوته وكانت الثقة كبيرة بالأقوال والعهود ولذلك عد رسول الله القول بالشهادتين أمرا فاصلا .أما اليوم فقد تغير الناس .

ورأى الأوزاعى أنه من الأولى بالمسلمين حتى لو غدر أعداؤهم ونقضوا العهود أن يحاولوا الرفق بهم لعلهم يرجعون ما دام المسلمون مستعلين وذلك فى غير المشركين .

(١) محاسن المساعى ص ٧٠ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٤٢ .

وقد استند فى ذلك الى ماحدثوا عنه من أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدى لهم مالا ، وارتهن معاوية منهم رهنا فوضعهم ببعلبك ، ثم ان الروم غدرت ، فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من فى أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر .. قال هشام بن عمار : وهـــو قول العلماء : الأوزاعى وغيره [1] .

أما لو نقضوا العهد ، فقد قال البلاذرى : سمعت الأوزاعى يقول فى قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم ودلوهم عليها . قال : انهم ان كانوا أهل ذمة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمتهم فان شاء الوالى قتل وصلب ، وان كانوا صلحا لم يدخلوا فى ذمة المسلمين نبذ اليهم الوالى على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين [2] .

بعض أهل الذمة :

ويبدو أن قبرس بلد سىء الحظ ، فقد قسم دائما بين الفاتحين ، وظلت بلواؤه الى اليوم فهى مقسومة بين الترك واليونان . وقد حدث الأوزاعى أن قبرس فتحت فتركوا على حالهم وصولحوا على أربعة عشر ألف دينار : سبعة آلاف للمسلمين وسبعة آلاف للروم ، على أن يكتموا الروم أمر المسلمين . ثم تلاعب أهل قبرس من غير أن يظهر أنهم نقضوا عهودهم فسئل الأوزاعى فقال : ما وفى لنا أهل قبرس قط . وانا لنرى أنهم أهل عهد ، وأن صلحهم وقع على شىء فيه شرط لهم وشرط عليهم ، ولا يستقيم نقضه الا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم [3] . وهكذا ظن الأوزاعى فى أهل قبرس السوء ولكنه لم ير أن يفتى فيهم الا بالبينة والدليل . وبنو تغلب رأى الأوزاعى أن يضعف عليهم الخراج ولا يخفف تخفيفه عن أهل الذمة الآخرين . ووافق رأيه آراء الثورى ومالك وابن أبى ذئب وأبى حنيفة وأبى يوسف . يؤخذ من التغلبى

---

(١) فتوح البلدان ص ٢١٧ .
(٢) المرجع نفسه . ونبذ اليهم : حاربهم .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .

ضعف مايؤخذ من الذمى فى أرضه وماشيته . وسبب ذلك أن نصارى بنى تغلب — وهم أصحاب حروث ومواش — كان عمر بن الخطاب قد هم أن يأخذ الجزية منهم فتفرقوا فى البلاد يريدون اللحاق بأرض الروم ، فصالحهم على ضعف ما يؤخذ من المسلمين ، واشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم ، فنقضوا صلح عمر .

وكان على بن أبى طالب يقول : لئن تفرغت لبنى تغلب ليكونن لى فيهم رأى ! .. فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة ..

فاذا أدى أهل الذمة الجزية والخراج ووفوا بشروط المسلمين فان الاسلام لايؤذى أحدا منهم ، ولايثقل عليهم الا اذا بدءوا . وقد كان أقرب حكم يرن صداه فى سمع الأوزاعى قول عمر بن عبدالعزيز لعتبة بنسعيد بنالعاص حين استأذنه فىأن يتفرق بنو أمية فىالبلاد بعدا عن عمر حينقبض قطائعهم وضمها الى بيت المال فغضبوا — أن قال عمر لعتبة : لهم ذلك ما شاءوا ، وقد أذنت لهم الا أن يؤذوا أحدا من أهل الذمة [1] .

وكذلك كان رأى الأوازعى فى أهل الذمة من نصارى لبنان : قال عنه البلاذرى : حدثنى محمد بن سعيد عن الواقدى قال :

خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك — ويبدو أنهم كانوا فى ثورة يحملون فيها السلاح ويعتدون — فوجه صالح بن على بن عبد الله ابن عباس من قتل مقاتلتهم وأقر من بقى منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوما من أهل لبنان ، فحدثنى القاسم بن سلام أن محمد بن كثير المصيصى حدثه أن الاوزاعى كتب الى صالح رسالة طويلة حفظ منها :

.. وقد كان من اجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟

وحكم الله تعالى « ألا تزر وازرة وزر أخرى » وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به . وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله —

---

(١) الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ١٠٤ .

— صلى الله عليه وسلم — فانه قال « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » [1] .

صحبة الحكام .

وقد أعجبت الأوزاعى شروط صحبة الحاكم التى اشترطها عمر بن عبد العزيز على جلسائه ورآها لخير الوالى ولخير الناس وخير الجلساء أنفسهم ، اذ ولى العدل مشغول عن سوى ما يصلحه ويصلح الرعية . وقد روى الأوزاعى أن عمر قال لجلسائه :

من صحبنى منكم فليصحبنى بخمس خصال : يدلنى من العدل الى ما لا أهتدى اليه ، ويكون لى على الخير عونا ، يبلغنى حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ولا يغتاب عندى أحدا ، ويؤدى الأمانة التى حملها بينى وبين الناس ، فاذا كان ذلك فحيهلا . والا فقد خرج من صحبتى والدخول على [2] .

ولم يصحب الأوزاعى واليا الا على شروط عمر ، ولم يجد بدا من التزامها . ولقد كان أحيانا يتردد فى أن ينصح ويصرح ولكنه كان يدفع عنه هذا التردد حين يتمثل وقوفه بين يدى الله فيسأله عن صحبة الولاة . — وسيتضح ذلك فى آخر هذا الباب —

أخلاق الباعة :

ولم يكن الأوزاعى يرى أن يصد الناس عن مكارم الأخلاق شىء ، والناس فى أى طبقة من طبقاتهم ، حتى الباعة فى سوق البيع والشراء وهم من أثرت المساومات فى أخلاقهم وأدنت منها .

---

(١) فتوح البلدان ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الجوزى ص ٦٤ — الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ١٢٤ .

والاسلام لم يعف أحدا من أن يتخلق بالمكارم ، ولكن الاسلام لما كان يعلم ما يرافق أسواق البيع والشراء من البلاء والشرور فقد وضع حدودا منيعة للاسواق حتى لا تخرج عن المكارم الى المآذى والشرور . وتشريعات الاسلام فى المعاملات تكاد تكون أوسع التشريعات .

وقليلا ما اختلط الأوزاعى بهذه الاسواق سوى الامور النظرية التى يدرسها فى فقهه ، وقد ضاق صدره ذات مرة من شىء لا يعده الناس أمرا ذا بال ، لأنه حادث من كل بائع وعلى كل سلعة وفى كل زمان وكل بلد .

كان الأوزاعى قد خرج يوما من مسجد بيروت وكان بجانب المسجد دكان يبيع عسلا — أو ناطفا [1] — . والى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : أحلى من العسل يابصل ! فقال الأوزاعى : سبحان الله ! سبحان الله ! أيظن هذا أن شيئا من الكذب يباح ! لعل هذا ما يرى بالكذب بأسا ! [2] .

لقد ضاق صدر الأوزاعى بأن يخرج التجار الى الحيل والمكر ، وضاق صدره بأن يخرج الباعة من الصدق الى الكذب ليستروا بها دناءة ما بأيديهم من السلع وينادون مهولين بالتشبيهات الكاذبة والكنى المغطية .

وكان الأوزاعى أشد كرها لذلك حين رأى هذه الاكاذيب والتهاويل قريبة من دور العبادة ، ومن الرحمة بالمتعبد أن لا يسمع — ولا سيما فى وقت صلاته وخشوعه أو فى أثره — كذبا وزورا ، حتى لو كان لتحلية طعامه وشرابه .

واكتفى الأوزاعى بالاستنكار . واستنكار الكذب ، دون أن يمنع الباعة من بيع أى سلعة بجوار المساجد متى التزموا الصدق والآداب .

صراحة أبى ذر :

وأولع الأوزاعى بالصدق والصراحة ، واتخذ له طريقا واضحا بعد أن اطمأنت نفسه وسمع لنصحه الولاة من بنى العباس ، وبعد أن وزن الأمور :

---

(١) الناطف : نوع من الحلوى السائلة ولعله المسمى بالقطر وهو من سكر معقود .
(٢) محاسن المساعى ص ٨٢ .

أمور الدنيا والآخرة ، فرأى أن يرضى الله أولى . وخير موقف له فى ذلك اذا أحاطت به المضايق والخطوب .

ومن ولعه بالصدق والصراحة ما رواه لأبى ذر الغفارى فى موقفه من فتنة عثمان مثنيا على الحق — كما رآه أبو ذر — ومضى أبو ذر فى الفتيا بعد أن نهاه عثمان عنها ونفاه :

حدث « الباب لتى » تلميذ الأوزاعى أن الأوزاعى أخبره عن قوة أبى ذر الغفارى فى الحق ، وعن نهى عثمان بن عفان له عن الفتيا ونفيه الى الربذة حتى توفى بها .

وكان أبو ذر خرج بعد وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الشام ، وهناك اختلف مع معاوية واليها من قبل عثمان فى قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فقال معاوية : نزلت فى أهل الكتاب . وقالت أبو ذر : نزلت فينا وفيهم — ذهب معاوية الى الخصوص وذهب أبو ذر الى العموم — فوقع بين معاوية وأبى ذر كلام .

وكتب معاوية الى عثمان يشكو أبا ذر — وأنه يثير الفتنة — فكتب عثمان الى أبى ذر يقول له : أقدم الى المدينة ، فقدم ، فأقبل الناس عليه فلما رأى عثمان ذلك قال له : ان شئت تنحيت فكنت قريبا . فأسكنه الربذة [1] .

فلما كانت فتنة عثمان وأبو ذر فى منفاه استفتى أبو ذر فى الفتنة القائمة فقال « ما كان لكم من حق فخذوه ، وما كان باطلا فردوه ، فما تعدوا عليك جعل فى ميزانك يوم القيامة » .

واذ أفتى أبو ذر بهذه الفتيا كان على رأسه فتى من قريش — وربما كان هذا الفتى أمويا عثمانيا — فقال لأبى ذر : أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟!

---

(١) هامش محاسن المساعى ص ١٣٠ .

فقال أبو ذر : أرقيب على أنت ؟ فوالذى نفسى بيده لو وضعتم الصمصامة على هذه — وأشار الى رقبته — ثم ظننت أنى منفذ كلمة سمعتها من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن تجهزوا على لأنفذتها [1] .

ميل أموى :

كان فى الأوزاعى ميل للامويين شأن كثير من فقهاء الشام وأهلها ، فلما زالوا حزن من أجلهم ، ولكنه أمسك عن الكلام فى العباسيين منذ أن بانت طلائع دولتهم ، ثم ما لبث أن سايرهم واستقضى حاجته من بعض أمرائهم ، ثم اتصلت بينه وبين داود بن على العباسى مودة وصحبة .

وكثيرا ما كتب الأوزاعى الى أمراء العباسية وولاتها يستشفع لديهم فى قضاء حاجات الناس فكانوا يقضونها [2] وقد كثر ذلك منه فى أيام أبى جعفر المنصور .

ولعل أقوى ما قربه الى قلوبهم ثناؤه على جد الخلفاء العباسيين على بن عبد الله بن عباس المعروف عندهم بالسجاد . وقد سمى عليا لأنه ولد فى أيام على بن أبى طالب وقد امتد به العمر طويلا . وكان على هذا أكبر من ابنه محمد والد الخلفاء بأربع عشرة سنة ، فلما أسنا وشابا خضب على بالسواد وخضب ابنه محمد بالحناء ، فلم يفرق بينهما الا بلون الخضاب لفرط بشابههما [3] .

وكان حب الأوزاعى للأمويين أمرا لا بد منه لأنه نشأ فيهم ، وكانت نشأته فى زمن قد اعتدل حكمهم فيه واتسعت رقعة الفتوح ، كما أن العصر الأموى كان عصر الصحابة والتابعين ، وحاجة الأوزاعى من العلم والاقتداء كانت عند هؤلاء . وكانت الأمور قد استقرت — ولا سيما بعد الحجاج بن يوسف وولاة الجور — وفى استقرار الأمور يجد الفقهاء وأهل العلم راحة نفوسهم ويسر مطالبهم .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨ .
(٢) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٩ .
(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٦ .

على أن العنف الشديد الذى شهده من العساكر المسودة والعباسيين فى قيام دولتهم كانت فى نظر الأوزاعى وانطباعه على الرفق أمرا غير مألوف .

ومع أن الأوزاعى قد هادن العباسيين وسايرهم ، فانه لم يــكن آمنا ، وكثيرا ما جاءوا به وروعوه ، لولا انزواؤه واعتزاله الناس .

والأميون والعباسيون فى طباعهم عند الأوزاعى على سواء فقد كانوا من قريش وكان الاوزاعى يعلم من خلق قريش أنها تستعلى ولا ترضى الا بأن يعظمها الناس [1] .

وكان اللقاء بين الأموى والعباسى لقاء أسود ، حتى غلب العباســيون بالمسودة ، فلم يكن لأحد منهم على الآخر فضل . وقد حدث من ذلك فى آخر الدولة الأموية ما يحير الألباب .

كان محمد بن عبد الملك بن مروان وهو أحد الذين رووا عن الاوزاعى، عاد من الحج فوجد الفتن قائمة بالشام من جهة بنى العباس ، فاستمر عند ابن عمه مروان بن محمد الجعدى [2] . وظل يحــارب معه حتى هزم مروان عند نهر الزاب [3] .

فلما كان يوم الهزيمة على بنى أمية رأى عبد الله بن على العباسى فتى عليه أبهة الشرف يقاتل مستقتلا ، فناداه عبدالله : يافتى ، لك الأمــان ولو كنت مروان بن محمد ! فقال الفتى : ان لم أكنه فلست بدونه . قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال :

أذل الحيـــاة وكــره الممــات
وكـــلا أراه طعـــاما وبيـــــلا

فان لـــم يــكن غيــر احداهمـــا
فســيرا الى المــوت ســيرا جميــلا

---

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٩ .

(٢) سمى مروان بن محمد آخر خلفاء العباسية بالجعدى لأن الجعد بن درهم القدرى كان من معلميه .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٨ .

ثم قاتل حتى قتل ، فاذا هو محمد بن عبد الملك بن مروان [1] .

فكان الأوزاعى يعرف أخلاق قريش واقدامها وشجاعتها مهما تراجعت بها الأيام ، فوقف على حيدة لانه ما كان يدرى لمن تكون الغلبة منهما ..

هرب الأوزاعى :

وفى أول وطأة العباسيين وطأوها بلاد الشام هربالأوزاعى من طريقهم، ولعل الناس — والفقهاء خاصة — من كل من كانت له صلة ظاهرة ببنى أمية كانوا يهربون .

وكان بنو أمية من أحرص الناس على مبايعة الفقهاء لهم لمكانهم من الأمة فاذا لم يبايعوا أو خالفوا لم يرحموهم ، ولا يكاد خليفة منهم لم يحرص علىذلك مع أن الأمويين كانوا يتولون الأمر بالوراثة أو الوصية مالم يخلعوا أنفسهم كما فعل معاوية الثانى ابن يزيد ، والأخبار مستفيضة فيما حدث بين خلفائهم والفقهاء ولاسيما اذا امتنعوا عن البيعة أو لم ينقضوها كما أراد الخلفاء [2] .

وكما حدث فى الأموية حدث فى العباسية ، فحرص الخلفاء — ولاسيما فى أول الدولة — على هذا التقليد من التقريب والاقصاء . ولعل الفقهاء كانوا يعرفون فى العباسيين ذلك فوجم من وجم وهرب من هرب ، وكان الأوزاعى أحد الهاربين .

وقد حدثنا من قبل عن هرب الأوزاعى من عبدالله بن على بن عبد الله ابن عباس واختبائه عند واصل بن جميل أحد أصحابه فى جبل الجليل وهناءته بضيافته عند واصل لأنه لم يتكلف له فى ضيافته .

غير أنه لم يمر على الأوزاعى فى هربه هذا غير ثلاثة أيام حتى جلا الأمويون عن الشام أو قتلوا . ثم ان القائد عبد الله بن على قائد السفاح طلب

---

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ ، ٢٠٨ .

الأوزاعى فتيغيب عنه هذه الأيام الثلاثة ، وكان عبد الله قد طلبه لأول وقت وثب فيه الى الشام ، ثم عرف موضعه فأحضر بين يديه .

وذهب الأوزاعى الى القائد العباسى وهو خائف ذاهل ، ويتضح ذلك فى أحاديث الأوزاعى لأصحابه عن لقائه به ، فقد أدلى اليهم بأحاديث تتفق وتختلف وتنقص وتزيد وتتغير ألفاظها ويتبدل ترتيبها . ومع أن ذلك الاختلاف قد يكون من الرواة والاخبـاريين فانه ليس بغريب على الخائف أن لا يذكر دفعـة واحدة كل ما يحدث فى موجة خوفه ، فاذا أمن وهدأ تذكر ما حدث شيئا فشيئا حتى تنجلى له قصة نفسـه كاملة . ولذا فانى سأسوق رواياته أو روايات أهل الأخبار حتى تتكامل وفيها مايشوق .

فى دمشق :

حدث عتبة بن حماد الحكمى قال : حدثنا عبد الرحمن الأوزاعى قال : بعث الى عبد الله بن على — وكان ذلك يوم تولى عبد الله الشام للسفاح سنة أربع وثلاثين ومائة — فأعظمنى ذلك واشتد على ، فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سمطين بين يديه ، فى أيديهم الكافركوبات [1] ، فأدنانى ثم قال لى : يا عبد الرحمن ، ما تقول فى مخرجنا هذا ؟

فقلت : أصلح الله الأمير ، قـد كانت بينى وبين أخيك داود مودة ، فأعفنى .

قال : لتخبرنى :

قال الأوزاعى : فقلت : لأصدقنه ، واستبسلت للموت ، فقلت : حدثنى يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن ابراهيم عن علقمة بن وقاص : سمع عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول « انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله

---

(١) الكافركوب : كلمة اعجمية . آلة من آلات التعذيب .

فجهرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وانما أراد الأوزاعى بسوقه هـذا الحديث لعبـد الله أن لايحكم على ما فعله العباسيون حتى تتضح وجهتهم فيما نووا : أفعلوه للدنيـا أم فعلوه للدين ؟ ولقد فهم عنه القائد ما يريد ، فقال له — وفى يده قضيب ينكث به الأرض — : يا عبد الرحمن ، ما تقول فيما فعلنا فى هذا البيت من بنى أمية ؟

فلم يشأ الأوزاعى أن يزيد عما قال ، فقال : كما قلت .

قال عبد الله : لتخبرنى عن الخلافة : أهى وصية من رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟

قال الأوزاعى : فورد على مثل ماورد — أى التردد ثم الاقدام — ثم قلت : لأصدقنه . فقلت : لو كانت وصية من النبى — صلى الله عليه وسلم — ما ترك على — عليه السلام — أحدا يتقدمه .

فسكت عبد الله ثم قال : ماتقول فى أموال بنى أمية ؟

قال الأوزاعى : فاستعفيت . فقال : لتخبرنى ! فقلت : ان كانت حلالا فهى عليكم حرام ، وان كانت لهم حراما فهى عليكم أحرم — أى الأموال التى جمعها أمراؤهم — قال الأوزاعى : ثم أمر بى فأخرجت [1] .

***

هذا الحديث نفسه ينقل عن الأوزاعى مرة أخرى فيصف عبد الله بن على وهو جالس على السرير وفى يده خيـزرانة والمسودة من يمينه وشماله معهم السيوف مطلقة — أى مسلولة — ثم يقول : فسلمت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخيزرانة بيده ثم قال : يا أوزاعى ، ما ترى فيما صنعنـا من ازالة أيدى الظلمة عن البلاد والعباد ؟ أجهاد هو ؟

---

(١) اشعار اولاد الخلفاء ص ٣٠٢ .

ثم مضى الأوزاعى فى حديثه ذاك ثم قال : قال عبد الله : ألا نوليك القضاء ؟ فقلت ان أسلافك لم يكونوا يشقون على فى ذلك — أى لا يكلفونى به — وانى أحب أن تتم ما ابتدءونى به من الاحسان .

فقال عبد الله : كأنك تحب الانصراف ؟

فقلت : ان من ورائى حرما يحتجن الى القيام عليهن وسترهن ، وقلوبهن مشغولة بسببى .

قال الأوزاعى : وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدى . فأمرنى بالانصراف . فلما خرجت اذا رسول من ورائى واذا معه مائتا دينار ، فقال : يقول لك الأمير : استعن بهذه .

قال الأوزاعى : فتصدقت بها ، وانما أخذتها خوفا . ثم قال : وكنت فى تلك الأيام صائما طاويا . فيقال : ان الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى [1] .

والحديث نفسه أعاده الأوزاعى على أسماع الفقهاء بمكة فقالوا :

اجتمع سفيان الثورى والأوزاعى وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان : يا أبا عمرو ، حدثنا حديثك مع عبد الله بن على . فقال :

لما قدم الشام وقتل بنى أمية جلس على سريره يوما وعبأ أصحابه أربعة أصناف : صنف بالسيوف المسللة وصنف منهم معهم الجرزة [2] وصنف معهم الأعمدة وصنف معهم الكافركوب . ثم بعث الى فلما صرت الى الباب أنزلونى عن دابتى وأخذ اثنان بعضدى وأدخلونى بين الصفوف حتى أقامونى بحيث يسمع كلامى .

فقال لى : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ؟

قلت : نعم ، أصلح الله الأمير .

---

(٢) محاسن المساعى ص ٧٩ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٠ — محاسن المساعى ص ٤٣ .

قال : ما تقول فى بنى أميه ؟

قلت : قد كانت بينك وبينهم عهود ، وكان الأجدر أن تفوا بها .

قال : ويحك ! اجعلنى واياهم لاعهد بيننا .

قال الأوزاعى : فأجهشت نفسى وكرهت القتل ، فذكرت مقامى بين يدى الله فلفظتها وقلت ما أغضبه ، فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه ثم قال : ويحك ! أو ليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت : كيف ذلك ؟

فقال عبد الله : أليس كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى لعلى ؟

قلت : لو أوصى لما حكم الحكمين .

فسكت عبد الله وقد اجتمع غضبا ، فجعلت أتوقع رأسى يسقط بين يدى . فقال بيده هكذا — أى أشار بها — أن اخرجوه . ثم أتم حديثه عن الدنانير وتصدقه بها . غير أنه فصل فقال : فخرجت فما أبعدت حتى لحقنى فارس فنزلت وقلت — قد بعث لي آخذ رأسى — أصلى ركعتين ، فكبرت ، فجاء وأنا أصلى ، فسلم وقال : ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير ففرقتها قبل أن أدخل بيتى .

فى مكة :

عن مفضل بن مهلهل قال :

خرجت حاجا مع سفيان الثورى فلما صرنا الى مكة وافقنا الأوزاعى بها ، فاجتمعنا فى دارنا والأوزاعى وسفيان الثورى .

قال مفضل : وكان على الموسم عبد الصمد بن على الهاشمى ، فدق داق الباب ، قلنا : من هذا ؟ قال : الأمير . فقام الثورى فدخل الى حمام بيته وقام الأوزاعى فتلقى الأمير .

قال عبد الصمد : من أنت أيها الشيخ ؟

قال : أنا أبو عمرو الأوزاعى .

قال عبد الصمد : حياك الله بالاسلام ، أما أن كتبك كانت تأتينا فكنا نقضى حوائجك . ما فعل سفيان الثورى ؟

قال الأوزاعى : دخل الى حمامه . ثم قام الأوزاعى فدخل فى اثر سفيان وقال له : ان هذا لرجل ما قصد الا قصدك . فخرج سفيان مقطبا فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم ؟

فقال عبد الصمد : يا أبا عبد الله ، أتيتك أكتب هذه المناسك عنك .

فقال سفيان : ألا أدلك على ما هو أنفع لك ؟

قال : ما هو ؟

قال سفيان : تدع ما أنت فيه .

فقال عبد الصمد : كيف أصنع بأمير المؤمنين أبى جعفر ؟

فقال سفيان : ان أردت الله كفاك الله أبا جعفر !

فمال الأوزاعى يهمس فى أذن سفيان ليدع هذه الحدة والغلظة فقال له فى أذنه : يا أبا عبد الله ، ان هؤلاء قريش ، وليس يرضون منا الا الاعظام لهم .

فقال سفيان : يا أبا عمرو ، انا ليس نقدر نضربهم ، فانما نؤدبهم بمثل هذا الذى ترى .

قال مفضل : فالتفت الى الأوزاعى ، فقال لى : قم بنا من هاهنا فانى لا آمن أن يبعث هذا — أى عبد الصمد — من يضع فى رقابنا حبالا . وأرى هذا — أى سفيان — ما يبالى [1] .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٩ .

وهكذا صار رأى الأوزاعى الى محاسنة عبد الصمد اذ كانت الامور قد استقرت لهم ، واذ لا نفع فى أخذهم بالعنف والشدة ، فهم من قريش ، وقريش كانت هى ما هى فى العلو والتعاظم . كان هذا رأيه ، وفرق بعيد بينه وبين رأى سفيان .

لقاء المنصور :

يصف الذهبى أبا جعفر المنصور فيقول : وأين مثل أبى جعفر — على ظلم فيه — فى شجاعته وحزمه وكمال عقله وفهمه ومشاركته فى الأدب ووفور هيبته ... [1] .

وقد لقى الأوزاعى أبا جعفر ، ولقيه فى دمشق بأمر منه ، ولكن كان ذلك حين اطمأنت النفوس وصار الأوزاعى فقيهـا فى العباسية منظورا اليه بالتقدير . وكان ذلك سنة أربع وخمسين ومائة حين قدم المنصور الى الشام وسن الأوزاعى تدنو من نهايتها .

وقد ذكر عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام عن الأوزاعى خبر هـذا اللقاء ، وذكره كذلك محمـد بن مصعب القرقسائى [2] . قالا : قال الأوزاعى : بعث الى المنصور وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت اليه سلمت عليه فرد على السلام واستجلسنى ثم قال :

ماالذى أبطأ بك عنا ياأوزاعى ؟

قلت : ياأمير المؤمنين ، وما الذى تريده منى ؟

قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم . .

قلت : انظر يا أمير المؤمنين ، لا تجهل شيئا مما أقول .

قال : وكيف لا أجهله وأنا أسألك عنه ، وقد وجهت فيه اليك وأقدمتك لـه ؟

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) محاسن المساعى ص ١٢٣ .

قلت : أن تسمعه ولا تعمل به !

قال الأوزاعى : فصـــاح بى الربيع وأهوى بيده الى السيف ، فانتهره المنصور قائلا له : هذا مجلس مثوبة لا عقـــوبة . فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، انظر ما تقول . فان مكحولا حدثنى عن عطية ابن بسر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمـــة من الله سيقت اليه ، فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا » .

يا أمير المؤمنين ، وحدثنى مكحول عن عطية بن بسر قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنـــة » يا أمير المؤمنين ، من كره الحق فقد كره الله . ان الله هو الحق المبين .

وقال الأوزاعى :

ثم قلت : ياأمير المؤمنين ، انك تحملت أمانة هذه الأمة ، وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس فى تفسير قول الله عز وجل « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » قال : الصـــغيرة التبسم والـــكبيرة الضحك . فما ظنك بالقول والعمل !

وأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى قرابتك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم — « ياصفية عمة محمد ويافاطمة بنت محمد اســـتوهبا أنفسكما من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئا » .

وكذلك جدك العباس ، سأل امارة من النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له : « أى عم ، نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها » نظرا لعمه وشفقة عليه من أن يلى فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا .

فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم

سائرا ، وبالقسط فيهم قائما — فلا يتخوف محسنهم منه رهقا ولا مسيئهم منه عدوانا .

وانك ، ياأمير المؤمنين ، لحقيق عند الناس أن تقوم فيهم بالحق ، لاتغلق دونهم الأبواب ، ولا تقيم عليك دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين ، قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم : أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وذميهم . فكل عليك نصيبه من العدل . فكيف اذا اتبعك منهم فئام وراءهم فئام [1] ليس فيهم أحد الا وهو يشكو بلية أو ظلامة !

يا أمير المؤمنين ، بلغنى عن عمر بن الخطاب أنه قال : لو ماتت سخلة [2] على شاطىء الفرات لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم العدل وهو على بساطك !

ياأمير المؤمنين ، حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال :

كانت بيد النبى — صلى الله عليه وسلم — جريدة يستاك بها ويردع المنافقين عنه ، فضرب بها قرن أعرابى فأتاه جبريل فقال : يامحمد ، ما هذه الجريدة التى معك ؟ ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبارا موئسا مقنطا تكسر قرون أمتك . ألق الجريدة من يدك . لا تملأ قلوبهم رعبا .

فدعا النبى الأعرابى الى القصاص من نفسه . فقال له الأعرابى : يا رسول الله ، قد أحللتك — بأبى أنت وأمى — ما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أبت على نفسى ! فدعا له رسول الله بخير .

يا أمير المؤمنين ، ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش لم يتعمده فعوتب فيه .

---

(١) الفئام : الجماعة .
(٢) السخلة : ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه وهو اشارة الى القلة والبخس .

واعلم ياأمير المؤمنين أن كل مافى يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها . وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لقاب قوس أحدكم من الجنة أو قذة [1] خير له من الدنيا بأسرها » وان الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل اليك .

ثم اعلم ياأمير المؤمنين أن لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناس ريحه فكيف بمن تقمصه ! ولو أن ذنوبا [2] من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحمه [3] فكيف بمن تجرعه ! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ! [4] .

ثم قال الأوزاعى :

يا أمير المؤمنين ، مهلا ، فان مثلك لا ينبغى أن ينـام . وانما جعلت الأنبيـاء وعاظا لعلمهم بالرعية يجبرون الكسير ويسمنون الهزيلة ويردون الضالة — وان الله عز وجل أوصى الى داود عليه السلام — ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق .. وقيل انه أوصى اليه : يا داود ، اذا جاءك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضـل فأمحوك من ديوان نبوتى [5] .

❋ ❋ ❋

هذه قصة الأوزاعى مع المنصور . وفيها أمور من العظات لا تخفى على أبى جعفر المنصور الذى نشأ وربى فى المدينة بين جلة الفقهاء وعلية العلماء ، غير انه أنصت للأوزاعى ليقربه ويؤلف قلبه فمضى الأوزاعى يرتجل الكلام .

---

(١) قاب القوس : ما بين قبضتها وسيتها . والقذة — بضم القاف والذال المشددة — : ريش السهم .

(٢) الذنوب : بفتح الذال الدلو الكبيرة .

(٣) أحمه : أحرقه وأصله أصابه بالحمى أو غسله بالحميم .

(٤) العقد الفريد . كتاب الزمردة — عيون الأخبار — ج ٢ ص ٣٣٩ — المخزون فى تسلية المخزون ص ٣٥ .

(٥) عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣٩ — محاسن المساعى ص ١٢٣ ، ٢٣٨ .

وقد يكون الأوزاعى لقى المنصور أكثر من مرة ، وفرق كلامه على كل مرة كلاما ، ثم جمعه الرواة فى صحيفة لتكمل الاتجاهات التى خاطب فيها الأوزاعى الخليفة المنصور .

ومهما يكن فلابد أن تكون مرات قليلة ، فان الأوزاعى مات بعد هذا اللقاء بثلاث سنوات ، ولعله قضاها كلها عزلة وانقطاعا . وحسب الأوزاعى أنه لم يكتم نصيحته عن الولاة فى أعز سطوة لهم فى الملك ، وحسبهم أنهم سمعوا له وأكرموه .

مراجع الكتاب

١ — آداب الشافعي ومناقبه .. .. لابن أبي حاتم الرازى .. القاهرة

٢ — الاحكام في أصول الأحكام لعلى بن حزم .. .. القاهرة

٣ — أدب الدنيا والدين .. .. .. للماوردى .. .. »

٤ — الاستبصار .. .. لأبى جعفر الطوسى .. .. بغداد

٥ — أشعار أولاد الخلفاء .. .. .. للصولى .. .. القاهرة

٦ — أعلام النبلاء .. .. لأبى الفرج .. .. »

٧ — الاعتصام .. .. للشاطبى .. .. »

٨ — البيان والتبين .. .. للجاحظ .. .. »

٩ — أنساب الأشراف .. .. للبلاذرى .. .. »

١٠ — تاريخ بغداد .. .. للخطيب .. .. »

١١ — تاريخ الشعوب الاسلامية .. لبروكلمان (مترجم) .. بيروت

١٢ — تاريخ العرب المطول .. .. .. لحتى (مترجم) .. .. .. »

١٣ — تاريخ مدينة دمشق .. .. .. لابن عساكر.. .. .. .. دمشق

١٤ — تاريخ .. .. اليعقوبى .. .. بيروت

١٥ — التنبيه والرد .. .. للملطى الشافعى .. .. .. القاهرة

١٦ — تنبيه المغترين .. .. للشعرانى .. .. »

١٧ — الجامع لأحكام القرآن .. .. للقرطبى .. .. »

١٨ — حاشية على الجلالين .. .. .. للصاوى .. .. »

١٩ — حياة الحيوان .. .. للدميرى .. .. القاهرة

٢٠ — الخراج .. .. لأبى يوسف .. .. «

٢١ — الخليفة الزاهد .. .. للمؤلف .. .. «

٢٢ — دول الاسلام .. .. للذهبى .. .. حيدرأباد

٢٣ — ديوان المعانى .. .. لأبى هلال .. .. القاهرة

٢٤ — رجال الطوسى .. .. لأبى جعفر الطوسى .. .. النجف

٢٥ — رسائل ابن حزم .. .. لابن حزم .. .. القاهرة

٢٦ — رياض النفوس .. .. لأبى بكر المالكى .. .. .. «

٢٧ — صفة الصفوة .. .. لابن الجوزى .. .. حيدرأباد

٢٨ — صحيح البخارى .. .. .. للامام البخارى .. .. .. القاهرة

٢٩ — الطبقات الكبرى .. .. لابن سعد .. .. بيروت

٣٠ — الطبقات الكبرى .. .. للشعرانى .. .. القاهرة

٣١ — طريق السعادتين .. .. لابن القيم .. .. «

٣٢ — عبد الملك بن عمر .. .. .. للمؤلف .. .. «

٣٣ — العقد الفريد .. .. لابن عبد ربه .. .. بيروت

٣٤ — عمر بن عبد العزيز .. .. .. لابن الجوزى .. .. القاهرة

٣٥ — عمدة البيان (هامش) .. .. لابن الفرضى .. .. «

٣٦ — عيون الأخبار .. .. لابن قتيبة .. .. «

٣٧ — فتوح البلدان .. .. للبلاذرى .. .. بيروت

٣٨ — فتوح مصر وأخبارها .. .. لابن عبد الحكم .. .. .. ليدن

٣٩ — الفرق بين الفرق .. .. للبغدادى .. .. القاهرة

٤٠ — قصص الأنبياء .. .. للنيسابورى .. .. «

٤١ — القصيدة النونية .. .. لابن القيم .. .. «

٤٢ — لبنان فى التاريخ .. .. لحتى (ترجمة) .. .. .. بيروت

٤٣ — محاسن المساعى .. .. لمؤلف مجهـول تحقيـق
أرسـلان .. .. القـاهرة
٤٤ — مختصر تذكرة القرطبى .. .. للشعرانى .. .. »
٤٥ — مروج الذهب .. .. للمسعودى .. .. »
٤٦ — المستطرف .. .. للابشيهى .. .. »
٤٧ — المعارف .. .. لابن قتيبة .. .. »
٤٨ — معجم الأدباء .. .. لياقوت .. .. »
٤٩ — معجم البلدان .. .. لياقوت .. .. بيـروت
٥٠ — النجوم الزاهرة .. .. لابن تغرى بردى .. .. .. القـاهرة
٥١ — نهاية الأرب (معجم القبائل) للقلقشندى .. .. »
٥٢ — نهاية الأرب (الموسوعة) .. للنويرى .. .. »
٥٣ — نور الأبصار .. .. للشبلنجى .. .. »
٥٤ — الهوامل والشوامل .. .. .. لأبى حيـان التوحيدى .. .. »
٥٥ — وفيات الأعيان .. .. لابن خلكان .. .. »

الفهــــرس

	صفحة
كلمة تصدير	٣
تقديم	٥
١ — زمن الأوزاعى	١٣
الأموية والعباسية	١٥
مولد الأوزاعى	١٧
نشأته وشبابه	٢١
سكنى بيروت	٢٣
أهله وأسرته	٢٧
وفاة الامام	٢٨
تركته ومخلفاته	٣١
٢ — رحلته الى العلم	٣٣
اختلاف الدواعى	٣٥
طبقة الأوزاعى	٣٨
ابن مجديز	٣٩
يحيى بن أبى كثير	٤١
الحسن وابن سيرين	٤٣
علماء الشام	٤٥
مكحول الشامى	٤٥
القاسم بن مخيمرة	٤٧
أبو اسحق الفزارى	٤٨
فقهاء آخرون	٤٩
علماء العراق والجزيرة	٤٩

صفحة

	الحكم بن عتيبة	٥٠
	ميمون بن مهران	٥٠
	العلماء فى الموسم	٥٢
	الامام الباقر	٥٢
	مالك بن أنس	٥٤
	عطاء بن أبى رباح	٥٥
	سفيان الثورى	٥٦
	جماعة من الأعلام	٥٧
	جملة من الفقهاء	٥٩
٣ —	تلاميذه وبلادهم	٦٣
	دائرة علمه	٦٥
	تلاميذه الكتّاب	٦٦
	فى بيت المقدس	٦٩
	فى الشام ومصر	٧٠
	فى الحجاز والعراق	٧٢
	بين المغرب وطراسان	٧٥
	فى الأندلس	٧٥
	طريقة التعليم	٧٦
	العلم والعلماء	٧٨
٤ —	أدبه وعلمه	٨١
	القول والكتابة	٨٣
	الآثار والعظات	٨٤
	الرسائل	٨٨
	الخطب	٩٢
	رواية الشعر	٩٣
	تحول كبير	٩٤

صفحة

درجة علمه ٩٦
غرائب الأخبار ٩٨
القرآن والحديث ٩٩
علوم شتى ١٠٢

٥ – مذهبه وطريقته ١٠٣
ما المذهب ؟ ١٠٥
مذهب الأوزاعى ١٠٦
الرأى عنده ١٠٨
مناظرته للقدرية ١١٣
أهل التوقف ١١٧
الرفق وصلة الرحم ١١٩
ضمور المذهب ١٢١

٦ – عبادته وزهده ١٢٥
زهد عصره ١٢٧
صفته وأخلاقه ١٢٩
الوفاء والأصدقاء ١٣١
ملابسه وزيه ١٣٣
مقادير الأيام ١٣٤
اقامة الصلاة ١٣٥
ولعه بالدعاء ١٣٦
التخشع والعبادة ١٣٧
اعتزال الناس ١٤٠
المعرفة والوصول ١٤٢

٧ – السياسة والعهود ١٤٥
سياسة الناس ١٤٧

صفحة

بعض أهل الذمة ١٤٨
صحبة الحكام ١٥٠
أخلاق الباعة ١٥٠
طرحة أبى ذر ١٥١
ميل أموى ١٥٣
هرب الأوزاعى ١٥٥
فى دمشق ١٥٦
فى مكة ١٥٩
لقاء المنصور ١٦١

مراجع الكتاب ١٦٧

الفهرس ١٧١


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر



(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)